ISSN 2976-7237 (Online)

# المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

# International Journal of Educational Sciences and Arts - IJESA

## مجلة علمية دولية محكمة

Vol. (3), No. (1) January 2024

الإصدار (3)، العدد (1) يناير 2024

تصدرها دار النشر

رؤية للبحوث العلمية والنشر

Vision for Scientific Research and Publishing, London, UK

# المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

## International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

**مجلة علمية دولية محكمة متخصصة**

**المجلة حاصلة على رقم تسلسلي معياري دولي: ISSN 2976-7237 (Online)**

**Journal Doi:** https://doi.org/10.59992/IJESA.ISSN.2976-7237

**موقع المجلة: https://ijesa.vsrp.co.uk/**
**البريد الإلكتروني: ijesa@vsrp.co.uk**
رقم التليفون (واتس): 442039115546+

تصدرها دار النشر **رؤية للبحوث العلمية والنشر**، لندن، المملكة المتحدة

**Vision for Scientific Research and Publishing, London, UK**

71-75 Shelton Street, Covent Garden, London, WC2H 9JQ

جميع حقوق النشر محفوظة لدار النشر رؤية للبحوث العلمية والنشر

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

Vol. (3), No. (1)

IJESA

January 2024

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

الإصدار (3)، العدد (1)

# تقديم

**عزيزي الباحث**

يسعدنا في دار النشر **رؤية للبحوث العلمية والنشر** أن نقدم لكم المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب IJESA وهي مجلة علمية دولية محكمة متخصصة، تهدف إلى أن تكون عوناً للباحثين العرب لتساعدهم على نشر إنتاجهم العلمي من الأبحاث، والدراسات العلمية. وتهتم المجلة بنشر الأبحاث العلمية التي يتوافر فيها الأصالة والحداثة والمنهجية العلمية والتي تشكل إضافة علمية في جميع التخصصات والعلوم باللغتين العربية والإنجليزية. وتخضع البحوث المنشورة في المجلة لعملية تحكيم على يد نخبة من الأساتذة الأكاديميين المتخصصين من العديد من دول العالم.

تنشر المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب IJESA الإنتاج العلمي في العديد من المجالات والتخصصات العلمية لإتاحة الفرصة أمام الباحثين وطلاب الدراسات العليا لنشر بحوثهم وأوراقهم العلمية. ومن أهم هذه التخصصات على سبيل المثال (وليس الحصر):

- طرق ومناهج تدريس Teaching methods and curricula
- التعليم في مرحلة الابتدائي Education at the primary stage
- التعليم في مرحلة الإعدادي (المتوسط) Education at the preparatory stage
- التعليم في مرحلة الثانوي Education at the secondary
- رياض الأطفال Kindergarten
- تعليم أطفال ذو الفئات الخاصة Education of children with special needs
- التربية الفنية Art Education
- التربية البدنية (التربية الرياضية) Physical Education
- تكنولوجيا التعليم Educational Technology

- جودة التعليم Quality of Education
- إدارة مدرسية School management
- إدارة دور الأيتام Management of orphanages
- مؤسسات الرعاية الاجتماعية Social Care Foundations
- الخدمة الاجتماعية Social Service
- التعليم الإلكتروني E-learning
- تخصصات العلوم في كليات التربية

Science majors in the faculties of education

- تخصصات الرياضيات والإحصاء في كليات التربية

Mathematics and Statistics majors in the faculties of education

- التربية والثقافة الإسلامية Islamic Education and Culture
- المكتبات والمعلومات Libraries and information
- إدارة المعرفة وعلم المعلومات Knowledge management and information science
- علم النفس Psychology
- الإرشاد والصحة النفسية Counselling and Mental Health
- علم الاجتماع Sociology
- الفلسفة Philosophy
- صحافة Press
- إعلام Media
- إذاعة وتليفزيون Radio and Television
- علاقات عامة Public Relations

- التاريخ History
- الجغرافيا Geography
- السياحة Tourism
- الآثار Archaeology
- اللغة العربية Arabic language
- اللغة الإنجليزية English language
- العلاقات الدولية International Relations
- العلوم السياسية Political Science

كما تشجع المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب IJESA نشر الإنتاج العلمي في العلوم والموضوعات المتداخلة ذات الفائدة العلمية أو التطبيقية الواضحة. وهذه النوعية من الأبحاث تشمل موضوعين أو أكثر من الموضوعات المذكورة سابقاً.

نظراً لأهمية الوقت لجميع الباحثين، تتعاون المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب IJESA مع مجموعة من المحررين المتميزين والمراجعين النظراء الذين لديهم الخبرة الكافية والمهارات الفنية والأدوات لتسريع عملية المراجعة والنشر قدر الإمكان. وغالباً ما تستغرق هذه العملية فترة زمنية من أسبوع إلى 3 أسابيع على الأكثر.

**رئيس التحرير**

**أ.د. / الهادي بووشمة**

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

Vol. (3), No. (1)

IJESA

January 2024

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

الإصدار (3)، العدد (1)

# هيئة التحرير


- الأستاذ الدكتور/ الهادي بووشمة، أستاذ علم الاجتماع، جامعة تامنغست، الجزائر.
- الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد إبراهيم اليحيى، أستاذ اللغة العربية، قسم اللغة العربية، كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالدوادمي، جامعة شقراء (وكيل جامعة شقراء سابقاً).
- الأستاذ الدكتور/ فايز صبحي عبد السلام تركي، أستاذ النَّحو والصَّرف والعروض، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.
- الأستاذ الدكتور/ مؤيد عبد الرزاق حسو، أستاذ التربية البدنية وعلوم الرياضة، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة الموصل، العراق.
- Prof. Joibel Tadea Gimenez Mogollon, Language Faculty, Universidad Autónoma de Baja California, Tijuana, Mexico
- الدكتورة / سيسيل عواد، خبيرة دولية في علم الاجتماع، دكتوراه علم الاجتماع، جامعة السوربون، فرنسا.
- الأستاذ الدكتور/ الطاهر الجزيري، أستاذ اللغة العربية (الأدب والنقد) المساعد، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.
- الأستاذ الدكتور/ عباس الطيب بابكر مصطفى، أستاذ الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية، جامعة الملك فيصل، السعودية.
- الأستاذة الدكتورة/ أسماء سعود ادهام، أستاذ اللغة العربية، عميد كلية الآداب (سابقاً)، جامعة الموصل، العراق.
- الأستاذة الدكتورة/ منى توكل السيد إبراهيم، أستاذ الصحة النفسية، كلية التربية، جامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية.
- الأستاذ الدكتور/ عامر عزيز جواد محمد، أستاذ التربية البدنية وعلوم الرياضة، الكلية التربوية المفتوحة، وزارة التربية، الأنبار، العراق.
- الأستاذة الدكتورة/ ماجدة مولود رمضان الشرع، أستاذ مشارك التاريخ، كلية الآداب، جامعة طرابلس، ليبيا.

- الأستاذة الدكتورة/ هدى بنت دليجان الدليجان، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية.
- الأستاذة الدكتورة/ زكية النور يوسف مكي، أستاذ مشارك في الإعلام، قسم الاتصال والإعلام، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ إحسان قدوري أمين عبد القادر النجاري، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة كركوك، رئيس الجمعية الأكاديمية الرياضية العراقية فرع كركوك العراق.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ أحمد مانع حوشان، قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ عبدالمنعم عبدالله خلف حميد الدليمي، قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة تكريت، العراق.
- الأستاذ الدكتور/ محمد ياسين عليوي الشكري، أستاذ الدراسات العليا في جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، العراق.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ لقمان وهاب حبيب المظفر، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، العراق.
- الأستاذ الدكتور/ جمال محمد سعيد حمد، أستاذ النحو والصرف المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الباحة، المملكة العربية السعودية.
- الدكتورة/ سارة نجاح عطية، أستاذ مساعد في اللغة الإنجليزية وآدابها، كلية عمان للإدارة والتكنولوجيا، مسقط، سلطنة عمان.
- الأستاذ الدكتور/ هشام الخالدي، أستاذ التعليم العالي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، الجزائر.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

Vol. (3), No. (1)

IJESA

January 2024

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

الإصدار (3)، العدد (1)

# قائمة الأبحاث المنشورة بالعدد

| م | عنوان البحث | اسم الباحث<br>الجامعة، الدولة | تخصص البحث | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| 1 | التواصل: البنية والوظائف | حسن الظريف<br>جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب | اتصال، إعلام | 23-10 |
| 2 | أثر الحداثة في نفوذ العلماء: مصر في القرن التّاسع عشر أنموذجًا | مرعي مصطفى محمد بوعمود<br>جامعة بنغازي، ليبيا | التاريخ | 49-24 |
| 3 | نظرية ما بعد الاستعمار والمقاومة الثقافية: استعادة الصوت والعقل | يسن إبراهيم بشير علي<br>جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية | أدب ونقد، اللغة العربية | 68-50 |
| 4 | Using Fleiss' Kappa Coefficient to Measure the Intra and Inter-Rater Reliability of Three AI Software Programs in the Assessment of EFL Learners' Story Writing | Iman Muftah Albakkosh<br>Tripoli University, Libya | English Language, Information Technology | 96-69 |

| م | عنوان البحث | اسم الباحث الجامعة، الدولة | تخصص البحث | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| 5 | When East Meets West: A Comparative Analysis of Credibility and Persuasive Appeals in Cross-Cultural Email Negotiations between Genders | Amerah Abdullah Alsharif<br>Taibah University, Saudi Arabia | English Language | 129-97 |

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

# التواصل: البنية والوظائف

**حسن الظريف**
باحث في علوم التواصل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب
hassandrif6891@gmail.com

**ملخص**

يروم هذا البحث النظر في موضوع التواصل وضبط بنيته وآليات اشتغاله ومعرفة وظائفه ومجالاته، وهو موضوع قديم كثر الحديث عنه وتعددت وجهات النظر فيه وتشعبت مسالك البحث فيه، وصارت الحاجة إلى ضبط حدوده وقواعده أمرا ضروريا لتيسير الإفادة منه في الحياة.

وسيتم التركيز فيه على أربعة جوانب أساسية هي حدود التواصل وأدواته، المسار التواصلي وعناصره، وظائف التواصل، استراتيجيات التواصل ومجالاته، وكلها تبرز هذه بعض العناصر المكونة لفعل التواصل وآليات اشتغاله ووظائفه، وهي تبرز أهميته التواصل الحياة في أبعادها المختلفة النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والسياسية ودوره في تحقيق الوجود الإنساني وبناء قنوات وجسور الحوار بين الأمم والشعوب.

**الكلمات المفتاحية:** التواصل، البنية، الوظائف، استراتيجيات، آليات الاشتغال.

## Communication: Structure and Functions

**Hassan Drif**
Researcher in Communication Sciences, Faculty of Arts and Human Sciences,
Mohammed V University in Rabat, Morocco
hassandrif6891@gmail.com

## Summary

This research aims to look into the subject of communication, control its structure and operating mechanisms, and know its functions and fields. It is an old topic that has been much talked about, viewpoints on it have multiplied, and research paths have become widespread, and the need to control its limits and rules has become

a necessary matter in order to facilitate benefiting from it in life. The focus will be on four basic aspects: the limits of communication and its tools, the communicative path and its elements, the functions of communication, communication strategies and its fields, all of which highlight some of the elements that make up the act of communication and the mechanisms of its operation and functions. They highlight its importance in communicating life in its various psychological, social, cultural, educational and political dimensions and its role in communication. Achieving human existence and building channels and bridges of dialogue between nations and peoples.

**Keywords:** Communication, Structure, Functions, Strategies, Operating Mechanisms.

## مقدمة

يتناول هذا البحث موضوع التواصل بنية ووظائف، وهو موضوع قديم جديد كثر الحديث عنه وتعددت وجهات النظر فيه وتشعبت مسالك الخوض في حقوله، وصارت الحاجة إلى ضبط حدوده وقواعده أمراً ضرورياً لتيسير الإفادة منه ورفع اللبس حول كثير من المصادرات التي صدرت في حقه.

## أهمية الموضوع

وتبرز أهمية هذا الموضوع في عدة أمور منها:

- أهمية التواصل في حياتنا المحاصرة في جوانبها المختلفة، فالتواصل يشكل نسغ الحياة وأساس وجود الإنسان وبعده الوجودي، فهو يمنح للإنسان بعده الحقيقي ويخرجه من العزلة التي تحد من قدراته، وتمكنه من ربط شبكات من العلاقات التي ينسجها عبر الوسائط التواصلية المختلفة المادية والتكنولوجية مع محيطه، وبدونه يكون عدماً وهباء. فإذا كانت حقيقة الإنسان تتحدد حسب تقدير ديكارت بالفكر (أنا أفكر أنا موجود) فإن هذا الوجود يبقى ناقصاً بدون تواصل.
- دوره في تحقيق التوازن النفسي والعاطفي للفرد والمجتمع والتأثير في طبيعة البناء والنظم الاجتماعية وتبادل القيم والتصورات والأفكار والتجارب بين الأفراد والجماعات والتفاعل بينهم وإدماجهم في ثقافة وهوية المجتمع، والمساهمة في بنائه على مختلف المستويات.

- إسهامه في التقريب بين الأفكار والحضارات والرؤى والتصورات بين الثقافات وتيسير الحوار والتفاعل بين الأمم والشعوب.

وتكمن مشكلة هذه الورقة البحثية في كثرة المؤلفات والأبحاث المتعلقة بموضوع التواصل وأبعاده وأدواته كثرة تزحم الباحثين بلا تحديد معياري واضح يتماشى مع التقنية الحديثة وثورة الذكاء الاصطناعي، ومن ثَمَّ كان التركيز على أربعة جوانب رئيسة تتلخص في حدود التواصل وأدواته، وعناصره، ووظائفه، وإستراتيجياته، ومجالاته.

جاءت مقاربة هذا الموضوع في أربعة مداخل رئيسة، شكلت البنية الناظمة لعناصره، هي:

## 1. حدود التواصل وأدواته:

يمكن بيانها وضبط معالمها من خلال مستويين لغوي واصطلاحي.

**المستوى اللغوي**، ويفيد الربط والجمع ورءب الصدع، فالتواصل لغة مصدر فعل "تواصل" على وزن "تفاعل"، وهو وزن يدل على المشاركة والتفاعل، ومعنى الفعل المجرد "وَصَلَ، وَصْلًا، وصِلَة ضد الهجر، و"اتصل" بالشيء"، و"تواصل" به بمعنى اِلْتأَمَ به، وتواصل الشخصان ضد تهاجرا.[1]

**المستوى الاصطلاحي**، ويفيد معاني مختلفة تلتقي في الدلالة على تبادل المعلومات والرسائل، شفهية كانت أم كتابية، بين متكلم أو مرسِل، ومتلقٍ أو متلقّين، باعتماد مجموعة من الوسائل الإجرائية المختلفة والمتباينة حسب ظروف التواصل وغاياته. وتختلف قنواته وآلياته باختلاف الوسائل المعتمدة في إجرائه، فهي في التواصل الشفوي، غيرها في التواصل الكتابي، فإذا كان الأول يستند على بعض المظاهر الخارجية بالأساس، كالشكل، والهيئة، والحركات، فإن الثاني يعتمد على اللغة بالدرجة الأولى، معجماً وتركيباً ودلالة حتى تؤدي الرسالة وظيفتها المتوخاة منها، دون إقصاء القيم الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية التي تؤطّر حياتنا، وتشكل جزءا مهما من ثقافتنا.

فالتواصل بهذا المعنى، حالة إنسانية أولية وإكراه اجتماعي يتعلم الفرد من خلاله كيف يتأقلم مع قوانين المجتمع ومقتضياته. فكما لا يمكن الحديث عن الإنسانية إلا من خلال وجود مجتمع، فإن الحديث عن المجتمع لا يمكن أن يتم دون الحديث عن نشاط تواصلي يمَكِّن الأفراد والجماعات من إشباع حاجات لا يمكن أن تشبع اعتماداً على مجهودات الفرد الواحد.[2]

1. ابن منظور، لسان العرب، (وصل).
2- سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية: آلية الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء ط2009/1 ص. 11

وتستمد التجربة التواصلية فعاليتها من العلاقة التفاعلية التي تربط بين شخصين، على الأقل، وفي إطار من التوافق اللغوي والثقافي. فكل شخص يملك القدرة على الكلام والفعل، يمكنه أن يشارك في التواصل، شريطة مراعاة مقاييس المعقولية والحقيقة والصدق، وكل المشاركين في التواصل ويرتبطون بتراث ثقافي مشترك يملكون القدرة على التواصل[3].

وتلعب اللغة دوراً كبيراً في التواصل في مستوياته المختلفة، وفي الحياة الإنسانية عامة، ولا تضاهيها في ذلك أية وسيلة أخرى من وسائل التواصل الإنساني كالرموز والإشارات، والصور والرسوم وغيرها من الوسائل؛ ولذلك يعرف الإنسان بأنه حيوان رمزي؛ أي يستخدم اللغة في تواصله اليومي، فخلافا للحيوانات لا يستخدم الناس اللغة لمجرد الإشارة إلى حالات شعورية، بل لتشكيل عقول بعضهم بعضا. فاللغة تتضمن نظاماً معقداً من القواعد، ومن المحتمل أن نظامنا في تعلم هذه القواعد محكوم فطرياً، حتى لو كان للغة التي نتكلمها مكون ثقافي قوي، إلى حد العجز عن تبادل الفهم بين الثقافات.

وهذا ما يذهب إليه مجموعة من اللسانيين الذين يرون أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، كفرديناند دو سوسير الذي يرى، أن اللغة نظام من العلامات والإشارات، هدفها التواصل خاصة أثناء اتحاد الدال مع المدلول بنيويًا، أو تقاطع الصورة السمعية مع التصور الذهني، فبالسماع نستدرك نوايا المتكلم ونحاول فك رموز لغته المسموعة[4].

## 2 . المسار التواصلي وعناصره:

تتحقق عملية التواصل الإنساني عبر مراحل مختلفة منها:

- المرحلة الأولى: تكوين التواصل.
- المرحلة الثانية: تتجسد في العملية الفيزيائية التي تنتقل فيها الأمواج الصوتية عبر الهواء إلى أن تدق طبلة الأذن عند المستمع، ثم تنتقل إلى دماغه.
- المرحلة الثالثة: يقوم فيها السامع بحل رموز تلك الرسالة الصوتية والتوصل إلى تركيبها الصوتي والصرفي والنحوي، ويستخلص منها المعنى الذي يقصده المتكلم في ذهنه.

وتفضي عملية التواصل اللغوي إلى تقريب المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات، وهو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها، ويتم التواصل عندما يرسل المتكلم مرسلة عبر استعمال نفس القواعد اللغوية التي يستعملها المستمع لكي يلتقطها، ويتم إرسال هذه الرسالة على شكل تمثيل صوتي للكلام بواسطة

3- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل. أفريقيا الشرق. ط.2. 1998. ص 182.
4. فرديناند دو سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة، ص 25

تنظيم قواعد لغوية يمتلكها المتكلم، وهذا الإرسال يصبح إشارة لأعضاء المتكلم النطقية بوظائف الأعضاء الفيزيولوجية، فينطق المتكلم الكلام المنطوق تلتقطه أعضاء المستمع السمعية. وحتى يكون التواصل إيجابياً، يقرب المعنى إلى الأذهان، يجب استعمال لغة واحدة، واستخدام قواعد لغوية مشتركة بين طرفي التواصل تساعد على تحليل الخطاب وفك رموزه، وهي العناصر التي وضعها رومان جاكبسون للغة، Roman (Jakobson) واعتبرها خطاطة دالة لتحليل كل خطاب لغوي وفهمه، وهذه العناصر هي:

1. المرسل: يصدر عنه الخطاب أو البلاغ، قولا أو كتابة.
2. المرسل إليه: وهو شخص أو مجموعة أشخاص يستقبلون الخطاب الشفهي أو الكتابي، ينفعلون ويتجاوبون، سلباً أو إيجاباً، مع ما يقدم لهم من معطيات وأخبار.
3. الرسالة: مجموع المضامين التي يبثها المرسل ويذيعها، ويبلغها للمرسل إليه.
4. السياق: هو الخلفية الاجتماعية والسياسية والدينية التي ينطلق منها المرسل لتبليغ رسالته وفق ضوابط، وقواسم مشتركة بينه ومتلقي خطابه.
5. قناة التواصل: تربط المرسل بالمرسل إليه قناة تضمن عملية الاتصال والتواصل.
6. السنن: تقوم الرسالة على سنن، وهي مجموعة علامات أو رموز صيغت وفق قوانين وقواعد اللغة المستعملة.

إن مرسل أية رسالة يبعث برسالته إلى المرسل إليه، ولكي تكون هذه الرسالة أكثر فاعلية وإجرائية، فإنها تقتضي أولاً سياقاً تحيل عليه –وهو ما يدعى عادة بالمرجع- وهو إما سياق لفظي أو قابل لأن يكون لفظيا. وبعد ذلك تقتضي الرسالة شفرة أو سنناً مشتركاً، كليا أو جزئياً، بين المرسل والمرسل إليه. وأخيراً تتطلب الرسالة تماسكا أو صلة أو قناة فيزيائية وربطاً نفسياً بين المرسل والمرسل إليه، يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه[5]؛ فنحن نبث رسالة ما من أجل أن نصل إلى إقامة علاقات معينة بيننا وبين الآخرين، وقد تكون هذه العلاقات إيجابية أو سلبية، ولكنها لن تكون بهذه الصورة أو تلك، إلا بسبب العوامل النفسية والاجتماعية التي تؤطرها، ولذلك فإنه من غير الصحيح أن نتجاوز هذه العوامل عند دراسة الرسالة اللغوية، لأن تجريدها من هذه العوامل، والتركيز على بعدها اللغوي الخالص، من شأنه أن يجعل ذلك البعد قاصراً عن الوصول إلى بُغيته.[6]

[5]-Roman Jakobson essais de linguistique générale. Tome.1. Paris 1963. pp (.214-213

6- سمير شريف استيتية، ثلاثية اللسانيات والتواصل، عالم الفكر. ع. 3.م. 34. س. 2006. ص.9

وترتبط بكل عنصر من هذه العناصر وظيفة محددة. أما المرسل فوظيفته انفعالية، والمرسل إليه وظيفته تأثيرية، والرسالة وظيفتها شعرية، في حين تقوم قناة التواصل على الوظيفة الانتباهية، أما السنن فوظيفتها ميتا لسانية.

## 3 . وظائف التواصل:

تعددت رؤى وتصورات الباحثين حول وظائف التواصل وغاياته ومقاصده، وذلك باختلاف توجهاتهم الفكرية ومرجعياتهم النظرية، ويعتبر نموذج جاكبسون أبرز النماذج التي قاربت هذا الموضوع، وحاولت ضبط حدوده وآليات اشتغاله، وأهم وظائف التواصل كما حددها هذا النموذج:

1. **الوظيفة المرجعية La fonction référentielle:** وهي الوظيفة المؤدية للإخبار، وفيها يتم التركيز على السياق التواصلي أو على نقل المعارف والحقائق والخبرات بين المرسل والمتلقي/ المتلقين للخطاب اللغوي في سياقات اجتماعية وثقافية وسياسية متنوعة محددة بالفضاءين الزماني والمكان. وقد اعتبر جاكبسون هذه الوظيفة الأكثر هيمنة في تواصلنا اليومي، بل هي أساس كل تواصل، لدرجة أن البعض دعاها بالوظيفة التواصلية واختزل التواصل فيها، والسبب في ذلك يرجع إلى أنها أولى الوظائف التي تستخدم اللغة لأجلها .
2. **الوظيفة الانفعالية la fonction Emotive:** وتسمى أيضا الوظيفة التعبيرية، يتم التركيز في العملية التواصلية على المرسل الذي نلحظ في كلامه مجموعة من التعابير الانفعالية الدالة على رغباته، وأحلامه، ورهباته. فهي تعبير صريح عن موقف المتكلم مما يتحدث عنه، وتنزع إلى التعبير عن عواطفه ومواقفه تجاه الموضوع المعبر عنه، ويتجلى ذلك في طريقة النطق أو في أدوات تفيد الانفعال كالاستفهام والتعجب.
3. **الوظيفة التأثيرية La fonction conative:** وهي موجهة نحو المخاطب أو متلقي الرسالة، وتتوخى هذه الوظيفة فرض رد فعل معين، أو التأثير فيه من أجل استمالته وحمله على التصديق بالرسالة. ونجد هذه الوظيفة في التعابير الدالة على الإنشاء من قبيل النداء، والأمر، والاستفهام، والتمني، والترجي، والنهي، والدعاء، أي كل الأساليب التي لا تقبل معياري الصدق والكذب، إذ لا يصح أن يقال لقائلها إنه كاذب أو صادق. ولا يعتبر نموذج جاكبسون هو الوحيد في هذا المجال، بل تعددت النماذج بتعدد المدارس اللسانية والمذاهب اللغوية.

4. **الوظيفة التنبيهية La fonction phatique:** يتم التركيز فيها على قناة التواصل، وتبرز هذه الوظيفة في عبارات تهدف إلى إقامة التواصل أو الحفاظ عليه أو إطالته مثل العبارات التالية: أفهمت، أتسمعني، انبه، وهي ألفاظ وعبارات لا معنى لها إلا بقدر ما تؤديه من إبقاء حبل التواصل، والرغبة فيه.
5. **الوظيفة اللّغوية الواصفة La fonction métalinguistique:** ويتم من خلالها وصف وتحليل وحل شفرات اللغة المستعملة في التواصل اللساني. وهي لغة نجدها في عبارات المناطقة واللغويين والنحاة والبلاغيين، وكل مهتم بعلوم اللغة، كما تستعمل في الخطابات اليومية بين الناس كلما دعت الضرورة لذلك، كقولنا: اشرح لي ما تقول، ما ذا تقصد؟ والغاية منها التفاهم والتواصل.
6. **الوظيفة اللّغوية الشعرية La fonction poétique:** لا يعني منطوقها أنها وظيفة ترتبط أساساً بالشعر وحده، بل يمكننا أن نجدها أيضاً في اللغة النثرية والخطاب اليومي، وفي الخطابات الإشهارية، وفي الدعاية الانتخابية وغيرها. وهي الوظيفة التي تكون فيها الرسالة غاية في حد ذاتها، لا تعبر إلا عن نفسها، وتصبح هي المعنية بالدراسة، وتكون الرسالة موضوعا للتأمل والتفكير، وعندئذ تصبح إبداعاً فنياً يترسخ في ذاكرة الناس، مثل حالة الإبداع الشعري والروائي والمسرحي.

## 4. استراتيجيات التواصل ومجالاته:

### استراتيجية التواصل اللفظي:

اعتبر فيرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure التواصل اللفظي حدثاً اجتماعياً يتم بواسطة الفعل الكلامي، ويتحقق عبر ما أسماه بدائرة الكلام،[7] ويبدأ هذا الحدث من ذهن المتكلم، حيث تظهر المفاهيم التي هي عبارة عن أحداث واعية، عن طريق العلامات اللغوية، أو الصور السمعية، فتحصل في ذهن المتكلم سلسلة من العمليات العصبية، تُصْدِرُ الأوامر إلى الجهاز الصوتي، فَيُحْدِثُ أصواتاً ملائمة لما في الذهن من مفاهيم، وتنتقل هذه الأصوات عبر موجات صوتية من فم المتكلم إلى أذن المستمع، فيقوم المستمع بتفكيك هذه الأصوات في ذهنه، فيجيب بفعل نطقي جديد وهكذا دواليك. وتتضمن هذه "الدائرة" سيرورتان فيزيولوجيتان: النطق والسمع، وسيرورتان سيكولوجيتان: تتمثلان في تحويل المفهوم إلى شفرات لغوية، تنقله إلى ذهن المستمع (Encodage) من جهة، وتفكيك الشفرة اللغوية (Décodage) في ذهن المستمع من جهة أخرى، بالإضافة إلى سيرورة فيزيائية: تتمثل في انتقال الشحنات [الكهربائية] والموجات الصوتية في الهواء من جهاز الإرسال لدى المتكلم إلى جهاز الالتقاط والاستقبال لدى السامع. ولكي تتحقق عملية التواصل هذه، لابد من توافق الدلالات التي يرسلها المتكلم والدلالات التي تصل إلى ذهن المستمع،

7Ferdinand de Saussure/ Cours de linguistique générale. Ed Payot, Paris 1968. P287.

وإلا تعذر التواصل والتجاوب، فالإنسان المستعمل للغة يمتلك في الواقع مهارتي التكلم والاستماع في آن واحد، ذلك أنه بإمكانه إرسال رسالة صوتية، كما أن بإمكانه التقاطها، ويقتضي التواصل الإنساني عادةً انتقال الإنسان بصورة متواصلة من متكلم اللغة إلى مستمع إلى اللغة[8]. فالأمر إنما هو أدوار يتبادلها كل من المتكلم والمستمع، يبدأ دور المتكلم بالانطلاق من الدلالات الذهنية وبالانتهاء عند التلفظ بالأصوات، بينما يبدأ دور المستمع بالتقاط المرسلة الصوتية، وتفكيك دلالاتها الذهنية.

وعلى الرغم من تباين دور المتكلم والمستمع، يرتبط الاستماع والتلفظ بعضهما ببعض من خلال تعاملهما مع الإشارة الصوتية الواحدة، فيتوافق في الدماغ النطق بالأصوات المختلفة والانطباع السمعي الذي تلتقطه الأذنان نتيجة هذا النطق، ويسمى هذا التوافق بين النطق والاستماع بالارتباط الصوتي المتبادل: corrélation phonétique، مع العلم أنه يبقى للتلفظ الأهمية الأساسية في مجال الإرسال، وللاستماع بالمقابل؛ الأهمية الأساسية في مجال الالتقاط؛ على النحو ذاته، فنسمي التوافق بين الدلالات في ذهن المستمع، وفي ذهن المتكلم بالارتباط الدلالي المتبادل corrélation sémantique.[9] ويبقى الموجه الأساسي لعمليتي الإرسال والالتقاط، هو المقدرة اللغوية والكفاية التواصلية لدى المستمع والمتكلم. فنحن اليوم، نعيش ثورة تواصلية عارمة اكتسحت العديد من المجالات الحيوية في مجتمعنا المعاصر، منها على سبيل المثال:

1- **المجال الاستراتيجي والأمني والعسكري:** يسهم التواصل بدور كبير في تبادل المعلومات والأخبار والخطط وتوفير إمكانات ومجالات التنسيق والتعاون والتدخل، سواء على مستوى المؤسسات أو على مستوى المجتمع، أو بين دول وهيئات وحكومات وأطراف دولية متعددة.
2- **الميدان العلمي والمعرفي والتكنولوجي**: يشكل تبادل المعلومات والأفكار والمعارف والتجارب والخبرات وأنماط الاختراع والإبداع، وكذا سرعة ودقة - وأحيانا سرية- تناقلها، مضامين وأدوات، شروطاً أساسية للتجديد والتطوير والإنماء في هذه المجالات العلمية والتقانية كلها، ولاسيما إذا تم ذلك، كما هو مطلوب، وفق إطار تواصلي فعال ومعقلن ومخطط وهادف، وخاصة في هذا الزمن الذي أصبحت فيه المعرفة بكل صنوفها وتطبيقاتها العملية، هي المصدر الأساس للثروة والسلطة والنفوذ، بخلاف ما كان عليه الأمر

8ميشال زكريا، الألسنية، المبادئ والأعلام، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية. 1983، ص 49.
9المصدر السابق ص49.

في المجتمع التقليدي، المختلف في الكثير من مقومات اقتصاده وبنياته وهياكله عن مجتمع اقتصاد المعرفة أو الاقتصاد الرقمي الجديد.

3- **المجال السوسيو اقتصادي**: يحتل التواصل الناجع مكانة مركزية، وخاصة في مجال توفير الآراء والمواقف والصور والمعطيات التي يقع على عاتقها توجيه أو ترشيد عمليات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، وأساليب التسويق وإدارة الجودة في مختلف المؤسسات والمقاولات، والاستجابة المتوازنة لما يفرزه سياق اجتماعي ما من "طلب اقتصادي" على سلع أو منتوجات أو خدمات أو قيم مادية أو رمزية مختلفة[10]

4- **الحقل السوسيو ثقافي والسياسي:** بقدر ما تستطيع المؤسسات والمجالات الثقافية والسياسية، من جمعيات ونواد وهيئات ومنظمات نقابية أو حزبية، التحكم في توظيف ما هو متاح لها من وسائل وإمكانات تواصلية للتعريف بمشاريعها وبرامجها وأنشطتها وأهدافها الثقافية والسياسية، فإنها تستطيع - بنفس القدر- وضمن شروطها الذاتية والموضوعية أن توصل أفكارها إلى أغلب مكونات الفضاء العمومي، وأن تساهم بالتالي، وضمن حدود ومستويات مختلفة، في صناعة" الرأي العام" وتوجيهه نحو اتخاذ مواقف أو إنتهاج سلوكات ثقافية أو سياسية أو انتخابية معينة، أي تبني "ثقافة سياسية واجتماعية"، لها، كما هو معروف، غاياتها ومرجعياتها ورهاناتها وتوجهاتها وخصوصياتها المرتبطة بمواضعات الزمان والمكان[11].

5- **المستوى الكوني:** بالنظر إلى ما أصبح العالم يعيشه من اضطرابات وتقلبات في ظل النظام الدولي الجديد، ولاسيما بعد "نهاية الحرب الباردة" وما أعقبها وتساوق معها من تهاوٍ للعديد من القناعات والمرجعيات والإيديولوجيات، ومع بروز النزاعات والحروب والصراعات وبؤر التوتر والتطرف والإرهاب والاحتجاج المتواتر على هيمنة قطبية أحادية العولمة، صار التواصل قيمة محورية، يتم النظر من خلالها لحل المشكلات والنزاعات وجسر عبور إلى بلورة "ثقافة كونية سياسية جديدة" ينتظر أن تشكل إطاراً إرشاديا (Paradigme) موجها لحوار بناء منتج ومتكافئ بين الثقافات والحضارات والدول والمجتمعات والأمم والشعوب، وتجسير أو ردم ما بين هذه الكيانات، وترسيخ قيم وأسس الثقافة الكونية النابذة لكل معتقدات ومسلكيات التطرف والإرهاب والعنف والصدام والإقصاء والنبذ والكيل المزدوج والاحتكار والتنكيل بالبشر والديانات والحضارات، واستبدال كل ذلك بقيم وأخلاقيات الحوار والتواصل والتعاون

10- أحمد فريقي، التواصل التربوي واللغوي (دراسة تحليلية)، ط.2011. ص.4.
11. المرجع السابق، ص5.

والتسامح واحترام مبادئ العدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان وكافة أشكال التعدد والتنوع والاختلاف، مما يكرس "أنسنة" متنامية واعية مسؤولة وهادفة للعالم برمته.[12]

6- **المجال التربوي:** إن العملية التعليمية التعلمية، بكل أبعادها ومضامينها التربوية والبيداغوجية والوسائل الديداكتيكية والعلائقية الاجتماعية الإنسانية، هي تحديداً وبالتعريف، عملية تواصلية بالمعنى الشمولي، ذلك أنها تقوم في مكوناتها وأطرافها الرئيسية، على تواصل جدلي تفاعلي مسترسل بين: مرسل/ مدرس من جهة، ومتلق/ تلميذ من جهة ثانية، حول مضامين رسالة/ منهاج دراسي من جهة ثالثة، وعبر وسائط متعددة من صوت وصورة. ولذا فإن من بين أهم عناصر تقييم جودة ونجاعة هذه العملية مدى عمق وقوة وشمولية وفعالية ما يجمع بين مكوناتها وأطرافها من تواصل منتج عميق، ذلك هو ما يؤكد عليه ما عرف في الحقل التربوي منذ عقود مضت بـ "النموذج التربوي التواصلي"، وما تستمر في التأكيد عليه أيضا نظريات وطروحات وأساليب وتوجهات تربوية حديثة متعددة في التدريس والإعلام والتوجيه وتدبير العلاقات.[13]

لقد مهدت علاقة اللغة والتواصل لوجود مفهوم جديد على الساحة التربوية هو مفهوم "التواصل اللغوي" الذي يقصد به نقل المعاني بين المرسل والمتلقي بواسطة اللغة. فعندما يتواصل الإنسان مع غيره اتصالاً لغوياً بغية التعبير عن الذات ونقل المشاعر والأحاسيس فهو إما أن يكون متحدثاً، وإما أن يكون مستمعاً، وفي جميع الحالات يمر الإنسان بعمليات عقلية مضمونها ومادتها اللغة.

وعملية التواصل اللغوي تتم عادة عن طريق التفاعل المتبادل بين طرفين هما المرسل والمتلقي وبينهما رسالة لغوية مكتوبة أو منطوقة تمر عبر قناة التواصل لتؤدي إلى إشباع حاجات المتخاطبين، كالتعبير، أو الإفهام، أو الإقناع، أو التأثير.

ولعل من أبرز أهداف التواصل اللغوي إكساب المتعلمين الكفاءة التواصلية، حيث لا يقتصر تدريس الفنون والمهارات اللغوية على تحصيلها فقط، ولكن يجب اكتسابها كأحد أوجه الكفاءة التواصلية، وهذه الكفاءة تشتمل أربعة أبعاد رئيسة هي:

- الكفاءة النحوية، وذلك فيما يتعلق بصحة الأداء النحوي والصرفي أداء يخلو من كل لحن.
- الكفاءة الاجتماعية، وتتضمن إدراك السياق اللغوي الاجتماعي الذي يحدث فيه التواصل، ويرتبط أساساً بالعادات والأعراف والمواقف.

12- المرجع السابق، ص.5.
13- المرجع السابق، ص.6

- كفاءة الخطاب، وتتصل بترابط المعاني بين المشاركين وقدرتهم على الإفهام والتفاهم.
- الكفاءة الاستراتيجية، ويقصد بها الطريقة التي يستخدمها المتحاورون لبدء التواصل وإنهائه والحفاظ عليه وإصلاحه وإعادة توجيهه الوجهة الصحيحة.

إن هذا الاهتمام في تدريس اللغة عبر مدخل التواصل اللغوي لاقى رواجاً كبيراً في كثير من النظم التربوية وحظي باهتمام ملموس في مراكز تطوير المناهج والمتخصصين في تعليم اللغات في العالم، وذلك لأهميته في تمكين المتعلمين من الكفاءة التواصلية التي تعد من أهم أهداف تعليم اللغة، كما صاحب ذلك تطور واضح في إجراءات تدريس مهارات اللغة من خلال التداخل بين اللغة والتواصل، لأن تعليم اللغة من خلال مدخل التواصل اللغوي أدى إلى حدوث جودة في تعلم المهارات اللغوية وتنميتها، ولأن التواصل أدى إلى زيادة وتأكيد الممارسة والخبرة اللغوية، إذ بجانب الوصول إلى المعنى والمفردة الصحيحة والقواعد السليمة زادت القدرة على التخاطب والتفاعل بين المتعلمين داخل الفصل الدراسي وخارجه[14].

إن كثيراً من المداخل التقليدية في تعليم اللغة تركز على التكرار الآلي للعبارات وعلى الجمل الجافة البعيدة كل البعد عن الواقع النفسي والاجتماعي للمتعلم، مما أدى إلى افتقاد المتعلم القدرة على التواصل الحقيقي لعدم قدرته على توظيف اللغة التوظيف الأمثل.

إن الإنسان لا يمكن له أن يتواصل بدون لغة - إلا في حالات استثنائية-، فالعملية في مختلف مظاهرها ليست عملية شكلية تتم في ظرف هادئ ومثالي، وبسيط، وتجريدي، ولكنها عمل إنجازي يتم في وضعية أو موقف معين له اقتضاءاته وتعقيداته، ولذلك، يجب أخذ الموقف التواصلي بعين الاعتبار من خلال الاهتمام بالاستعمالات اللغوية، معجماً وتركيباً. فالمرسل يختار وينتقي مادته اللفظية من المعجم الذي يمتلكه، ويفهمه المتلقي مع مراعاة القواعد والأعراف والمواضعات، والنواميس الاجتماعية والثقافية الضابطة لاستعمال اللغة واستخدامها في مواقف تواصلية معينة. فنظام التواصل اللغوي لا يقتصر فقط على معرفة القواعد اللغوية واحترامها نطقا وكتابة، وهو ما سمّاه شومسكي بالكفاية اللغوية، بل يتجاوزها إلى معرفة القواعد الاجتماعية والسيكولوجية والثقافية التي تتحكم في استعمال اللغة، وتوجه العمل بها "فالذات المتكلمة، قادرة ليس فقد على إنتاج وتأويل جمل نحوية، بل قادرة أيضاً على إنتاج ملفوظات énoncés مرتبطة فيما بينها بشكل منسجم ومتلاحم، محترمة لبعض المواضعات والأعراف والنواميس، وخاضعة

14- المرجع السابق، ص 6

لمواقف تلفظية"[15]. فلا ينبغي أن نفصل في أي فعل تواصلي لفظي بين معرفة اللغة (القواعد وشفرات نقل الحديث)، ومعرفة استعمال اللغة savoir faire (المواضعات والأعراف والسياقات والمقامات التواصلية)[16]. فالمتكلم أو المرسل لا يؤسس كلامه أو رسالته على جمل معزولة ومستقلّة دلاليا بعضها عن بعض، وإنما ينشئ خطابا تواصليا يراعي فيه مقام التداول بالدرجة الأولى. "لقد أكدت أبحاث سورل وأوستين (Searle-Austin)، أن الوحدة الأساسية في التواصل الإنساني ليست هي المقطع أو الجملة، بل إنها فعل الكلام Acte de parole، فعندما يتكلم شخص فإنه يوظف اللغة لأمر ما، للطلب أو للبرهنة أو النداء أو التهديد، وهي مظاهر فعلية للكلام، فأن تقول إن شيئاً حسن، حسب سورل، يعني أن تفعل Dire c'est faire، وهذا الفعل لا يقوم على شكل اللغة وحده، ولا على المظاهر الدلالية والسيكولوجية للغة، وإنما على المكونات التالية:

- إنه نشاط فيزيقي ونحوي يستهدف توليد الملفوظات: (كلامي Locutoire).
- إنه نشاط يتوخى تحقيق هدف معين (طلب، تحذير، أمر) (تكلمي illocutoire).
- إنه فعل يحدث لدى المتلقي رد فعل معين (رفض، قبول) (تكليمي Perlocutoire)"[17].

7- **المجال السياسي:** يعتبر التواصل أداة الفاعل السياسي ووسيلته الأساس في أداء عمله، فرجل السياسة يقضي الجزء الأكبر من وقته في التواصل مع الآخرين – كتابياً أو شفهياً-، وقد أظهرت بعض الدراسات أن رجال السياسة يقضون ما بين 70% و80% من وقتهم في شكل من أشكال الاتصال، لأن كل جانب من جوانب العمل السياسي يرتبط بطريقة عملية بالاتصال، وهو بدوره مؤثر في نجاح الأداء في هذه الجزئية أو فشلها. ولذلك يعتبر التواصل الفعال من الأدوار المهمة التي يضطلع بها رجل السياسة، ومن خلاله يتمكن من تحقيق العديد من الأهداف المشتركة مع جميع الأطراف. وتعتبر اللغة الأداة الأساس في إنجاز عمله، فهي الوسيط الأساسي للحوار والأداة الناقلة للأفكار والمعلومات والقرارات، والوسيلة الأساسية للتعبير عن الرغبات. ولقد أثبتت التجارب، أن اللغة الواحدة لها أكثر من مزية، إذ يتحقق بواسطتها التواصل بكيفية أكثر، لارتباطها الوثيق بالمجتمع الذي تؤثر فيه، ويؤثر فيها، وتجعل المرء بالتالي يحس

15-T.C. Jupp et autre: Apprentissage linguistique et communication C.L.E. international. Paris 1978. P.170.

16- المرجع السابق 170

17- عبد اللطيف الفارابي، البعد التواصلي للعلاقة، ضمن كتاب: المدرس والتلاميذ، أية علاقة، جماعة من الباحثين، مطبعة نجم الجديدة، الجديدة، ط1 1989، ص47

بانتمائه الاجتماعي والسياسي، ومن ثَم يطور ويقوّي روابطه وعلاقاته الاجتماعية والسياسية. إذ بواسطتها يتمكن من تحقيق التفاعل الاجتماعي مع الآخر، "فعندما يتصل شخص بشخص آخر، ويتعامل معه، فإن سلوك كل منهما يتأثر ويتغيّر بسلوك الآخر، وينظر كل منهما إلى الآخر كشخص له اتجاهاته وقيمته وتوقعاته وأحكامه، وأن تصرف كل شخص يتوقف إلى حد ما على اتجاهاته نحو الآخرين، وتوقعاته عن استجابة الآخرين المحتملة نحوه"[18].

ويزداد الأمر أهمية عندما يرتبط بالتدبير السياسي، فالمسيّر الناجح والفعال، هو الذي تتوفر فيه جملة من المهارات الاتصالية، وخاصة المهارة اللغوية، فهو يمثل حلقة الوصل بين مختلف الفرقاء السياسيين، لذلك فهو مطالب بخلق نوع من التفاعل بين جميع مكوناتها من جهة، وبينها وبين الفاعلين الخارجيين من جهة ثانية. وعليه، فاختيار اللغة المناسبة في التواصل يعد من أهم الركائز الأساسية لتحقيق ذلك ، لأن فهم سلوك الآخرين لا يتم إلا من خلال النظر إلى الأفراد الذين يشكلون الجماعة التي ينتمي إليها الشخص، والتعرف إلى الكيفية التي يتفاعلون بها مع بعضهم البعض بما يحقق في النهاية شخصية مميزة لكل جماعة من الجماعات الموجودة داخل البناء الاجتماعي، ويساعد في التعرف على علاقات الأفراد ببعضهم البعض وعلاقتهم بالمؤسسات التي ينتمون إليها، أو يتعاملون معها، ويجعل منها نتاجاً للتفاعل الإنساني، فالأفراد الذين يعملون في مجال ما، يختارون أنماط السلوك التنظيمي والأهداف والرموز بما يوجه التفاعل التنظيمي بين المؤسسة و المؤسسات الأخرى، ويتحدد البناء التنظيمي للمؤسسة بناءاً على الدور الذي تقوم به في المجتمع، وبهذا يكون الاتصال التنظيمي هو دراسة العلاقات العامة، مما يسهم في تقديم تفسير وشرح كل ما يتعلق بالظاهرة التنظيمية، كما يساعد على اختيار إدارة العلاقات العامة ومسؤوليها بأفضل الاستراتيجيات والقواعد التنظيمية التي تنظم علاقات المؤسسة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

إن أفضل طريقة للنظر إلى المجتمع هي اعتباره نظاما للمعاني، وبالنسبة للأفراد فإن المساهمة في المعاني المشتركة والمرتبطة برموز اللغة تعد نشاطاً مرتبطاً بالعلاقات بين الأشخاص، تنبثق منه توقعات ثابتة ومفهومة لدى الجميع.

كما أن الروابط التي توحد الناس والأفكار التي لديهم عن الآخرين، ومعتقداتهم حول أنفسهم، تعد كلها أبنية شخصية من المعاني الناشئة عن التفاعل، وهكذا فإن المعتقدات الذاتية لدى الناس عن أنفسهم وعن الآخرين هي أهم حقائق الحياة الاجتماعية، مما يجعل من السلوك الفردي في موقف ما، يتوقف على

18. الشعيب أخضر، العلاقات الاجتماعية وعلم النفس دار الميزان للنشر، لبنان، 2000، ص45.

المضامين والمعاني التي تربط الناس بهذا الموقف، فالسلوك ليس رد فعل أوتوماتيكي، أو استجابة آلية لمؤثر خارجي، ولكنه ثمرة أبنية ذاتية حول النفس والآخرين، والمتطلبات الاجتماعية للموقف.

## التوصيات

هذه بعض العناصر المكونة لفعل التواصل وآليات اشتغاله ووظائفه، وهي تبرز أهميته في الحياة في أبعادها المختلفة النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والسياسية ودوره في تحقيق الوجود الإنساني وبناء قنوات وجسور الحوار بين الأمم والشعوب، لكن العصر يفرض تطوير أدوات التواصل وتكييف نظرياته وفق مستجدات الحياة المتسارعة، ومراعات الخصوصيات الثقافية والمجتمعية في عملية التواصل حفاظاً على الخصوصيات القيمية والحضارية.

## البيبليوغرافيا


- أحمد فريقي، التواصل التربوي واللغوي (دراسة تحليلية)، ط.2011.
- سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية: آلية الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء ط2009/1.
- سمير شريف استيتية، ثلاثية اللسانيات والتواصل، عالم الفكر. ع. 3.م. 34. س. 2006.
- الشعيب أخضر، العلاقات الاجتماعية وعلم النفس دار الميزان للنشر، لبنان، 2000.
- عبد اللطيف الفارابي، البعد التواصلي للعلاقة، ضمن كتاب: المدرس والتلاميذ، أية علاقة، جماعة من الباحثين، مطبعة نجم الجديدة، الجديدة، ط1 1989.
- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل. أفريقيا الشرق. ط.2. 1998.
- ميشال زكريا، الألسنية، المبادئ والأعلام، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية. 1983.
- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale. Ed Payot, Paris 1968.
- Roman Jakobson essais de linguistique générale. Tome.1. Paris 1963.
- T.C. Jupp et autre, Apprentissage linguistique et communication C.L.E. international. Paris 1978.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

# أثر الحداثة في نفوذ العلماء: مصر في القرن التّاسع عشر أنموذجًا

**مرعي مصطفى محمد بوعمود**
محاضر مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا
maraidpi@gmail.com

## مستخلص

كثيرًا ما تصف الأدبيّات تجربة العلماء الذين تلقّوا تعليمًا تقليديًّا دينيًّا مع الحداثة بأنّها تجربة سلبيّة للغاية؛ فقد أدّت- في نهاية المطاف- إلى تقليص دور العلماء التّقليديّ، بوصفهم قادةً وأصحاب أعلى سلطة أخلاقيّة في المجتمع الإسلاميّ. تركّز هذه الدّراسة على عمليّة التّحديث في مصر العثمانيّة إبّان القرن التّاسع عشر الميلاديّ، وتُجرِي مسحًا منهجيًّا للأدبيّات العربيّة والغربيّة، متناولةً بالنّقد والتّحليل وجهة النّظر السّائدة للنّتائج التي ترتّبت على هذه العمليّة فيما يخصّ العلماء. وبتناول أحداث قضيّة زواج الشّيخ علي يوسف صاحب المؤيّد بصفيّة السّادات، التي أثيرت في سنة 1904م، تبيّن أنّ الحكم السّائد على آثار عمليّة التّحديث في مكانة العلماء ونفوذهم في المجتمع لا أساس له؛ فبعد مرور قرن من الزّمان على انطلاق عمليّة التّحديث في مصر العثمانيّة، احتفظ العلماء بدورهم ونفوذهم الاجتماعيّ، وبقيت سلطتهم الأخلاقيّة الكبيرة سليمة إلى حدٍ بعيد؛ وهذا ما جعل العلماء في منزلة **لا** تسمح لهم بتحدّي أعلى سلطة سياسيّة في مصر فقط؛ بل وبضبط عمليّة التّغيير الاجتماعيّ ، ومن ثمّ أُجريت عمليّة التّحديث نفسها وفق معاييرهم ورؤاهم.

**الكلمات المفتاحيّة**: العلماء، الحداثة، الإسلام، مصر، العثمانيّة، المحاكم الشّرعيّة.

# The Impact of Modernity on the Influence of the Ulama: Nineteenth-Century Egypt as an Example

**Marai M. M. Boamood**
Assistant Lecturer, Department of History, Faculty of Arts, University of Benghazi, Libya
maraidpi@gmail.com

## Abstract

Reviewing the existing literature, the impact of the process of modernization on the Ulama, the traditionally educated Muslim scholars, has been described as

extremely negative. It is widely held that modernization led eventually to diminishing the Ulama's role as leaders holding the highest moral authority in Muslim society. Taking the experience of nineteenth century Egypt as an example, the present study systematically examines the literature and discusses and analyses the existing perspective regarding the impact of modernization on the Ulama. By analyzing events and developments related to the marriage of Ali Yousef, the owner Al-moayed newspaper, and Safia Al-sadat, which took place in 1904, this study demonstrates that the established and prevailing wisdom concerning the impact of modernization on the Ulama has no basis in fact and needs to be reviewed and re-evaluated. After a century from the start of modernization in Egypt, the Ulama retained their social role and influence. Furthermore, their wide-spread moral authority remained to a great degree intact. Thus, the Ulama were in a position that allowed them to not only challenge the highest political authority in Egypt, but also to regulate social change and the modernization process per se according to their criteria and vision. This study recommends reconsidering the narrative regarding the role of the Ulama in Ottoman Egypt, especially in the establishment of the modern state.

**Keywords:** Ulama- Modernity- Islam- Ottoman Egypt -Islamic Courts.

## مقدمة

يُعدّ موضوع التّفاعل بين الإسلام والحداثة من الموضوعات التّاريخيّة المهمّة التي تحظى باهتمام كبير من الباحثين، لا سيّما في الأدبيّات الغربيّة، وعادةً يركّز المختصون في هذه المساحة البحثيّة- وهم غالبًا غربيّون يقدّمون وجهات نظر وتفسيرات لا تخلو من التّحيّز- على التّغيرات التي طرأت على المجتمعات الإسلاميّة؛ نتيجةً للاحتكاك المباشر بالغرب الأوروبيّ في العصر الحديث، لا سيّما إبّان حقبة الاستعمار الأوروبيّ وهيمنته على مناطق واسعة من العالم الإسلاميّ.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

وقبل وقوع هذه المواجهة، كانت أوروبا الغربيّة قد شهدت تحوّلاتٍ عميقةً؛ بسبب انتشار أفكار التّنوير والقوميّة والتّشديد على أهمّيّة العلم والعقلانيّة والعقل الإنسانيّ، كما تزايد الاعتماد على تكنولوجيا متطوّرة وتقنيات جديدة؛ ظهرت في أثناء الثّورة الصّناعيّة [1]، وبحلول القرن الثّامن عشر الميلاديّ، أصبحت الهوّة واسعةً في التّكنولوجيا والتّقنية والقوّة والمعرفة بين دول أوروبا الغربيّة ودول العالم الإسلاميّ، وفي الوقت الذي كانت فيه دول أوروبا الغربيّة تشهد نهضةً كبيرةً في مختلف المجالات، وتأخذ بأسباب القوّة، كانت الدّول الإسلاميّة- ممثّلة في الإمبراطوريّة العثمانيّة- في انحدار اقتصاديّ، وسياسيّ، وعسكريّ، وتقنيّ، وضعف مستمر؛ ممّا شجّع الدّول الأوروبيّة على بسط سيطرتها أو نفوذها على المناطق العربيّة التّابعة للإمبراطوريّة العثمانيّة[2]، كما خضعت مناطق إسلاميّة أخرى، كالهند، للحكم الاستعماريّ الأوروبيّ[3].

وتقليديًّا، تُعدُّ الحملة الفرنسيّة على مصر العثمانيّة، والوجود الفرنسي فيها، خلال الفترة 1798 -1801م، من الأحداث بالغة الأهميّة في سرديّة الإسلام والحداثة، فعلى الرّغم من قصر مدّة الاحتلال؛ فقد كان لهذه التّجربة تأثيرات بعيدة المدى؛ فمنذ ذلك الوقت استحوذت على اهتمام النّخبة المصريّة فكرةٌ مفادُها أنّ مصر متخلّفة وبعيدة عن العالم الغربيّ المتقدّم، وحدّد هذا المعتقد طبيعة التّغييرات الكبيرة واتجاهها التي عرفتها مصر فيما بعد، وعمومًا فقد شجّع اللّقاء مع الغرب على انتشار أفكار وتصوّرات لم تكن جزءًا من التّراث العربيّ الإسلاميّ في مصر آنذاك؛ ممّا أدّى إلى ظهور حيويّة ثقافيّة كبيرة، لا تخلو من بعض التّناقضات[4]. وتُستخدَم التّجربة المصريّة عادةً عينةً لقياس مدى تأثير برامج التّحديث في المجموعات والمؤسّسات التّقليديّة التي كانت قائمة وفاعلة عند انطلاق عمليّة الاقتباس من الغرب وتوضيحه، وحسب تقديرنا يعود الاهتمام الكبير الذي تحظى به التّجربة المصريّة إلى عدة أسباب، منها:

---

[1] William A. Pelz, A People's History of Modern Europe (1st ed.), Pluto Press. Retrieved from https://www.perlego.com/book/664538/a-peoples-history-of-modern-europe-pdf

يقدم وليام بيلز تاريخيًا اجتماعيًا لأوروبا الحديثة مع التّركيز على أبرز العوامل التي أدّت إلى تشكّل أوروبا الحديثة وظهورها.

[2] Albert, Hourani, A History of the Arab Peoples, (Cambridge, MA, Belknap Press of Harvard University Press, 1991), p 174-180.

[3] Robert, Marks B, The Origins of the Modern World: A Global and Ecological Narrative (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2002).

يقدم الباحث الفذّ (روبرت ماركس) سرديّة تاريخيّة عن ظهور العالم الحديث والتّفوق الغربيّ من وجهة نظر عالميّة، وبعكس أغلب الدّراسات التي تفسّر هذه الظّاهرة من وجهة نظر تركّز على عوامل غربيّة محليّة، يعتمد ماركس على دراسات أسيويّة وإفريقيّة عن العالم الجديد، مقدّمًا روايةً لعبت فيها هذه الأجزاء من العالم أدوارًا مهمّة في ظاهرة بروز العالم الحديث، ويَعُدّ ماركس الصّناعة والدّولة القوميّة والحروب بين الدّول من أبرز معالم العالم الحديث.

[4] ماسيمو كامبانيني ت, تاريخ مصر الحديث: من النهضة في القرن التاسع عشر إلى مبارك, ترجمة عماد البغدادي (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة 2006), ص 17، 22- 37.

أ- أنّ مصر كانت من المناطق الإسلاميّة التي خضعت مبكرًا لعمليّة التّحديث على النّمط الأوروبيّ.

ب- المنزلة العظيمة التي تمتع بها الإسلام في مصر، ودوره البارز في المجتمع المصريّ.

ج- مكانة مصر المميَّزة عبر التّاريخ في المحيطين: العربيّ، والإسلاميّ.

وبوجه عام، كان الإسلام المُحدِّد الاجتماعيّ الأشدّ تأثيرًا في المناطق الإسلاميّة، وعاملًا مهمًّا في إضفاء الشّرعيّة على الحكم السّياسيّ [5]، وتنظيم المجتمع، وسنّ القوانين، مقدِّمًا- على مدار قرون طويلة- القيم والمثل الكبرى للفرد والمجتمع[6]، وكان جزءًا بارزًا من الهويّة العثمانيّة، وكانت الشّريعة أساس النّظام القانونيّ في الولايات العثمانيّة، وكما تُبرز الباحثة (جين هاثاواي Jane Hathaway) أنّه كان للمجتمع الإسلاميّ قادة وقدوة هم العلماء، وتعرّف هاثاواي العلماء بأنّهم: مجموعة من المتعلّمين الذين درسوا التّراث الإسلاميّ من عقيدة وشريعة، وتشير كلمة عالم إلى شخص في حوزته العلم أو المعرفة، وكان العلماء- على مدار قرون طويلة- يشرفون ويديرون مباشرةً قطاعات حيويّة جدًا في المجتمع، مثل: التّعليم، والقضاء، وبصفتهم حملة العلوم المكتوبة في الثّقافة الإسلاميّة؛ فقد اكتسب العلماء سلطة أخلاقيّة ضخمة، كما حصلوا على اعتراف بأنّهم قادة المجتمع الإسلاميّ بعد الرّسول- عليه الصّلاة والسّلام-[7]. وقام العلماء بدور الوسيط بين العامّة والأعيان، الذين كانوا- بحلول القرن الثّامن عشر- يسيطرون على الولايات العربيّة العثمانيّة، وكان في وسع العلماء إحداث تغيّيرات إداريّة، أو قيادة اضطراب اجتماعيّ وتعطيل الحياة، كإصدار قرارات تؤثّر في قطاعات واسعة من المجتمع، مثل: قفل أسواقٍ رئيسة في المدينة[8].

وحين ضمّ العثمانيّون مصر، كان الجامع الأزهر أحد المراكز العلميّة القليلة في العالم الإسلاميّ، وزادت أهمّيته حتى صار لا منافس له في صيته الرّفيع، وهي سمعة اكتسبها الأزهر بفضل تقاليده العلميّة الرّاسخة، التي ظلّت قرونًا عديدة دون تغيّر يذكر، وتشير الباحثة (فاطمة حافظ) إلى أنّ هذه المنزلة العلميّة والدّينيّة الرّفيعة للأزهر أدّت إلى اكتساب خرّجيه من العلماء هيئةً ووضعيّةً اجتماعيةً متميّزةً في المجتمع، ثُمّ تعدّت إلى لعب دور سياسيّ مهمّ في العصر العثمانيّ، دفعتهم إليه التّركيبة السّياسيّة القائمة؛ فقد كان الحكّام العثمانيّون

[5] Muhammad Nazeer Ka Ka, Khel, "Legitimacy of Authority in Islam,' Islamic Studies. vol. 19, no. 3, (1980), pp. 167–82. http://www.jstor.org/stable/20847141. Accessed oo26 Oct. 2023.

[6] Wael Hallaqm Sharī'a; Theory, Practice, Transformations (Cambridge: Cambridge University Press 2009). يتناول وائل حلاق التّطور التّاريخيّ للشّريعة، وعلاقتها بالنّظام القضائيّ في المجتمع الإسلاميّ.

[7] جين هاثاواين، البلاد العربية في ظل الحكم العثماني 1516-1800، ترجمة محمد شعبان صوان ط1 (الجزائر: أبن النديم للنشر والتوزيع، 2018)، ص 173-189.

[8] المرجع السابق، 196-204.

والمماليك والمحكومون المصريّون يشكّلون مجموعتين متباينتين في اللغة والعرق، وأصبح العلماء همزة الوصل بينهما؛ بسبب ثقافتهم وإلمام بعضهم بالتّركيّة، وتمتّعهم بثقة الفريقين، وأدى العلماء في هذه المرحلة دور الوسيط بكفاءة، مرّة بين المماليك والمصريين، ومرة أخرى بين المماليك أنفسهم، في حال حدوث صراع بينهم على الزّعامة[9].

وحين بدأت جهود التّحديث، ووُضِعت أسس الدّولة الحديثة في مصر العثمانيّة في مطلع القرن التّاسع عشر، كان العلماء يتمتّعون بمكانة اجتماعيّة وسياسيّة مميزة، ويشغلون وظائف مفصليّة في الدّولة والمجتمع، كالإشراف على النّظام التّعليميّ والقضائيّ، فضلًا عن دورهم الدّينيّ والأخلاقيّ كحماةً للشّريعة، والناطقين باسمها، ومن ثَمّ ينظر للعلماء عادةَ بوصفهم رموز المجتمع التّقليديّ، وأحد أهمّ مكوناته ودعائمه.

وكما سنوضّح في الجزء الخاصّ بالدّراسات السّابقة، فإنّ هناك قناعة تامة عند الباحثين- لا سيّما المختصون- بأنّ العلماء فقدوا مكانتهم ونفوذهم نتيجة لعمليّة التّحديث، وسوف نثبت في هذه الدّراسة أنّ هذا الحكم غير دقيق، وأنّ هناك شواهد وأحداثًا تاريخيّةً، مثل: وقائع وتطوّرات قضيّة زواج الشّيخ علي يوسف صاحب المؤيّد بصفيّة السّادات، مما تؤكّد احتفاظ العلماء بمكانتهم ودورهم في كونهم قادة وقدوة للمجتمع؛ بل كانوا في مكانة تسمح لهم بضبط عمليّة التّحديث ذاتها.

## إشكاليّة الدّراسة

أظهر المسح المنهجيّ للأدبيّات أنّ هناك حكمًا راسخًا سائدًا وشائعًا على النّتائج المترتّبة عن عمليّة التّحديث، فيما يخصّ العناصر التّقليديّة للمجتمع الإسلاميّ، ممثلةً في العلماء ومؤسّساتهم كقاعدة عامّة، وتُوصف آثار عمليّة التّحديث بأنّها كانت وخيمةً على مركز العلماء في المجتمع، وأنها أدّت إلى تقليص دورهم التّقليديّ ونفوذهم الأخلاقيّ الضّخم؛ بل وإلى تلاشيهما أيضًا، وبالنّظر إلى حقائق وأحداث تاريخيّة لم تفسّر تفسيرًا صائبًا، ولم تُوضع في السّياقات الصّحيحة، يتبيّن أنّ هذا الحكم جانبه الصّواب وبحاجة إلى تقويم.

## أهداف الدّراسة

تسعى هذه الدّراسة أساسًا إلى وضع قضيّة زواج الشّيخ علي يوسف صاحب المؤيّد من صفيّة السّادات في سياقها الصّحيح، وتجيب عن عدد من التّساؤلات المهمّة المتعلّقة بتفاعل العلماء مع الحداثة، منها:

- كيف كانت مكانة العلماء ودورهم في المجتمع المصريّ قبل انطلاق عمليّة التّحديث؟

[9] فاطمة حافظ، الفتوى والحداثة، ط2، (القاهرة: نماء للبحوث والدراسات الثانية، 2021)، ص 25-26.

- إلى أيّ مدًى تأثّرت مكانة العلماء بعمليّة التّحديث؟ وماذا تقول الأدبيّات في هذا الصّدد؟
- هل أدّت الحداثة إلى زوال نفوذ العلماء حقًا؟ أو استمرّ تأثيرهم في سياسات التّخطيط الاجتماعيّ والسّياسة العامّة؟
- كيف كانت منزلة العلماء في المجتمع بعد مرور قرن كامل على انطلاق عمليّة التّحديث في مصر العثمانيّة؟

## أهميّة الدّراسة

- تسهم هذه الدراسة في الفهم المعرفي الرئيس لأثر الحداثة في كونها تتيح قراءة مغايرة لوقائع وتطورات قضية زواج صاحب المؤيد الشيخ علي يوسف بصفية السادات، فقد أثيرت هذه القضية في مصر في سنة 1904م، أي: بعد انقضاء قرن كامل على انطلاق عملية التحديث على النسق الغربي في مصر، ولم تكن حادثة الزواج أمراً عادياً، فقد شغلت حكومة الخديوي ذاتها وكل فئات الشعب، وشقت طريقها إلى الصفحات الأولى من الصحف المصرية جنباً إلى جنب مع صيحات الجلاء والدستور.
- وتسهم هذه الدراسة كذلك في تنقيح المعرفة التاريخيّة وتحسينها من خلال تنقيتها من الشوائب العالقة بها، وتقديم معرفة صحيحة، وأحكام مبنية على أسس سليمة ومتينة.
- تضع الدراسة الحالية في متناول البحاث المختصين والمهتمين معلومات استقيت من مظانها التي ينشر بعضها لأول مرة، وتعقد مناقشة تقوم أساساً على إعادة تفسير ما وقع فعلاً من أحداث وتطورات، مقيمة الدور الذي أداه العلماء في عملية التحديث بشكل منهجي، وبهذا تمهد الدراسة الطريق لظهور دراسات رصينة تكتب التاريخ كما ينبغي فيما يخص حقبة من أهم حقب التاريخ الحديث والمعاصر.

## المنهجية

تعتمد هذه الدراسة المنهج التاريخي Historical Research الذي يعرّفه (بيرج وهاوارد Berg Bruce and Lune Howard) بأنه محاولات بشكل منهجي لاستعادة الفروق الدقيقة المعقدة، والناس، والمناسبات، وحتى الأفكار المتعلقة بالماضي الذي صاغ الحاضر وأثّر فيه[10]، ويعتمد هذا المنهج على مجموعة واسعة من المصادر التاريخيّة الأولية والثانوية، وتعتمد هذه الدراسة في تناول قضية زواج علي يوسف صاحب المؤيد على معلومات مستقاة من مصادر أولية معاصرة للحدث، مثل: مقالات وتغطيات صحفية، وردود

[10]Berg Bruce L. & Lune Howard, Qualitative Research Methods for the Social Sciences (8th ed.), (Boston, MA: Pearson 2012), p305.

فعل للناس نشرتها الجرائد المصرية، مثل: الأهرام، والمؤيد، والمقطم، واللواء، واتبعت الدراسة خطوات البحث التاريخي المنهجي؛ بداية، تم تحديد المنطقة البحثية، وإشكالية الدراسة، ثم يلي ذلك مسح منهجي للأدبيات وصياغة المشكلة البحثية، ثم تم وضع أسئلة الدراسة، وأسهم المسح المنهجي والتنقيب في دار الوثائق القوميّة المصرية في تحديد المصادر الأولية والثانوية التي تُستقى منها المعلومات، وبعد التأكد من صحة المصادر والمعلومات وأصالتها، تم تحليل البيانات المستقاة منها، وتطوير رواية تاريخية، ومحاجة قوية[11]، وتجدر الإشارة إلى أن هذا العمل يعد تاريخاً ثقافياً Cultural History أكثر منه اجتماعياً.

## الدراسات السابقة

يشير الدكتور (خالد فهمي Khald Fahmy) أستاذ التاريخ بجامعة (تافتس الأمريكية) إلى ما توصف به الأدبيات الغربيّة عملية التغيير القضائي- التي تعد من أهم وأبرز جوانب عملية التحديث على النسق الغربي- في الإمبراطورية العثمانيّة في القرن التاسع عشر، بأنّها نصراً مؤزراً للأفكار الليبرالية الأوروبية والدستورية وسيادة القانون. ونجحت هذه الأفكار المجلوبة من الغرب بشكل تدريجي، ولكنه حازم في إزاحة الشريعة التي تُفهم على أنها القانون الإسلامي في حقول التجارة وقوانين العقوبات والإجرائية، وفي النهاية قانون الأحوال الشخصية من ميراث، وزواج، وطلاق، وحضانة الطفل، ومن وجهة النظر هذه، أثبت التغيير القضائي في النهاية أنه ناجح في المجتمعات العربيّة؛ لأن النخب التقدمية فهمت الضعف الأخلاقي لمجتمعاتها، فبقوة الإقناع، وفي مواجهة جماهير متعصبة ورجعية، تمكنت فئة قليلة من المستنيرين من التأسيس لتغييرات قضائية، كان لها أثر بعيد المدى في كل مظاهر الحياة في الشرق الأوسط تقريباً. وأتبع التغيير القضائي في مصر في القرن التاسع عشر طريقاً مماثلاً، حيث نمت وازدهرت وطغت الأفكار والمؤسسات المقتبسة من الغرب، وتبدو مصر غالباً مكاناً جربت فيه هذه الأفكار وسُنّت ونقحت[12].

وبحكم رسوخ فكرة التفوق والتقدم الدائم لأفكار ومؤسسات الحداثة على نقيضها التقليدي، نجد أن الأدبيات الغربيّة والعربية على حد سواء تنطلق من مسلمة مفادها أنه كان لعملية التحديث في مصر العثمانيّة خلال القرن التاسع عشر نتائج سلبية؛ بل كارثية أبدية على نفوذ العلماء ومكانتهم، وعادة ما يُنظر إلى العلماء بوصفهم صفوة المجتمع التقليدي وأصحاب السلطة الأخلاقية الأعظم فيه وأهم القوى الاجتماعية الفاعلة،

[11]Ibid, p311.
[12]Khald Fahmy K, 'The Anatomy of Justice: Forensic Medicine and Criminal Law in Nineteenth-Century Egypt', Islamic Law and Society, 6(2), (1999), p 225.

وكما سبق القول: إن الإسلام أدّى دوراً مفصلياً في تشكيل الثقافة والهوية، وكان فاعلاً قوياً في حياة الناس، ويعكس اضمحلال نفوذ العلماء- بطبيعة الحال- النتيجة المتوقعة والمؤكدة للتفاعل التقليدي مع الحداثة.

ومن وجهة نظر المؤرخ الأمريكي (دانيال كريسيليوس Daniel Crecelius) كانت بداية انهيار مكانة ونفوذ العلماء مع وصول محمد علي باشا 1805-1849م إلى سدة الحكم، فما أن بلغ الحكم حتى شرع في إقامة نظام مركزي خضعت لسلطته وسيطرته كل المصادر المالية، خاصة الأوقاف التي كانت المصدر الرئيسي للدعم المالي للعلماء ومؤسساتهم على مدار قرون كثيرة خلت، وكنتيجة متوقعة دخلت المؤسسات الدينية أحد أهم دعائم ومرتكزات نفوذ العلماء في عهده في مرحلة من الانحدار، ومنذ ذلك الوقت بدأ العلماء في فقدان مصدر السلطة والنفوذ[13]. وفي تحليل كريسيلوس لم يكن فقدان المصادر المالية وحده سبب تدهور مكانة العلماء ونفوذهم؛ بل يرجع أساساً إلى طريقة تعامل العلماء وتفاعلهم مع الحداثة، فحسب رأيه فشل العلماء فشلاً ذريعاً في التكيف مع مناخ وتغييرات صاحبت عملية التحديث في مصر في القرن التاسع عشر، ويرى كريسيليوس أنه على مدار القرن التاسع عشر بقي العلماء معادين علناً لأيّ ابتكار من أيّ شكل، ويفضلون الاحتفاظ بالوضع القائم، ومنذ مطالع القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين تقريباً، كان موقف العلماء وردود أفعالهم، إما معارضة وإما انسحابًا. ويذهب كريسيليوس إلى أنه على المدى البعيد كانت استراتيجية المعارضة والانسحاب مدمرة لمركز ونفوذ العلماء، وأن النتيجة الفورية لهذه الاستراتيجية كانت عزلًا فكريًّا وعضويًّا واختناقًا[14].

وتشدد المؤرخة المصرية (عفاف السيد) أيضا على إخفاق العلماء التام في التكيف مع ظروف ومعطيات خلقتها الحداثة؛ بل تذهب إلى أن العلماء خضعوا على مدار التاريخ لسيطرة ونفوذ حكام أقوياء؛ لكنهم عادوا واستعادوا مكانتهم ونفوذهم، وعادوا للبروز من جديد، غير أن إدخال المؤثرات الغربيّة في مصر على يد محمد علي وخلفائه كان سبباً في انحدار سلطتهم ونفوذهم الأبدي هذه المرة[15].

[13]Daniel Crecelius, 'Nonideological Responses of the Egyptian Ulama to Modernization", in Scholars, Saints, and Sufis; Muslim Religious Institutions in the Middle East Since 1500, Nikki R. Keddie(Ed), (Berkeley: University of California Press 1972); Daniel Creceliu, "The Course of Secularization in Modern Egypt", in Islam and Development: Religion and Sociopolitical Change, John Esposito and Hossein Askari (Eds), (Syracuse: Syracuse University Press1980).

[14]Crecelius, 'Nonideological Responses," p183-188.

[15]Afaf Lutfi Al-Sayyid Marsot, "The Role of the Ulama in Egypt During the Early Nineteenth Century," in Political and Social Change in Modern Egypt: Historical Studies from the Ottoman Conquest to the United Arab Republic, P. M. Holt (ed), (London: University of London, 1968) 264-277.

ومن خلال مسح الدراسات في الأدبيات العربيّة نلاحظ أن ثمة قبول بكل سهولة ويسر لهذه السردية حول العلماء والحداثة، ولتوضيح مدى تأثر الأدبيات العربيّة بهذه الرواية المعتمدة، سوف نلقي نظرة على ما ورد في دراسة نشرت مؤخراً في شكل كتاب تحت عنوان (الفتوى والحداثة) للباحثة فاطمة حافظ، فالكتاب عبارة عن دراسة لتاريخ الإفتاء المصري خلال القرن التاسع عشر، أي: الإفتاء في ظل الفترة التي شهدت عملية التحديث في مصر العثمانيّة، وتركز الباحثة فاطمة أساساً على علاقة المفتي بالحداثة، أو علاقة الشريعة بتطورات سياسية وفكرية واجتماعية نجمت عن عملية التحديث، وتستعمل الباحثة فتاوى رسمية وأهلية صدرت خلال القرن التاسع عشر؛ للكشف عن طبيعة هذه العلاقة، والدراسة محل النقاش مهمة لعدة أسباب: فهي دراسة ظهرت حديثاً- في سنة 2021م- وتتناول جانباً من جوانب تفاعل العلماء مع الحداثة، كما تتضمن مفاهيم وأفكار وتعميمات مستوحاة من وجهة النظر الغربيّة حول ما فعلته عملية التحديث بالعلماء، وأخيراً فإن الدارسة عبارة عن رسالة دكتوراه أجيزت من قبل قسم التاريخ بجامعة القاهرة، تحت إشراف المؤرخ المعروف الدكتور: محمد عفيفي، وإشراف باحث متخصص مثل عفيفي على هذه الدراسة فيه دلالة واضحة على وجود قبول من قبل شريحة مهمة من أهل الاختصاص في العالم الأكاديمي العربي لمفاهيم ووجهات نظر غربية تم تبنيها على عواهنها دون تدقيق أو تمحيص.

وفي معرض سردها لأحداث القرن التاسع عشر في مصر العثمانيّة، تنطلق فاطمة أيضاً من مسلمة أنه بوصول محمد علي باشا إلى سدة الحكم بدأت مرحلة جديدة من مراحل العلاقة بين العلماء والباشا، أو بالأحرى بين الديني والسياسي؛ إذ تم حسب قولها ترسيم العلاقة على قواعد جديدة، ولكن حدث ذلك في البداية على مراحل، وخلال السنوات الأولى من حكمه سمح الباشا للعلماء بالاستمرار في دورهم التقليدي في الوساطة بين الباشا والأمراء المماليك، لكن مع متغير وحيد وهو أن العلماء لم يعودوا مستقلين؛ وإنما صاروا تابعين للباشا، فهو الذي يملي متى يبدؤون في الوساطة، وماهية عناصر التفاوض وسقفه، أما فيما يتعلق بدور العلماء في الوساطة بين الباشا والجماهير فلم يكن محمد علي ليسمح بها[16].

غير أن نهاية دور الوساطة السياسي لم يكن يعني اختفاء العلماء من المشهد السياسي تماماً؛ وإنما بقوا حاضرين بشكل صوري حسبما تمليه التقاليد الإسلاميّة الكلاسيكية التي استمرت في بدايات عصر محمد علي، مثل: خروج العلماء بصحبة الجيش في حروبه ضد الوهابيين، كما كان الباشا يلجأ إليهم لنصرة الجيش بالدعاء، وأشرك الباشا العلماء في المجالس الإدارية التي أنشأها للمساعدة في تسيير البلاد، مثل: عضوية

[16] حافظ، الفتوى والحداثة، ص 26-27.

مجلس المشورة الذي أنشأه في 1245هـ[17]. ومع انقضاء دور الوساطة السياسية بلا رجعة، وما تبعه من انسحاب من المشهد السياسي العام، فإن هناك دوراً تطلبته المرحلة، وهو إسباغ الشرعية على سياسات الباشا، وأخذه بالنظم الغربيّة في التجنيد في الجيش والإدارة، وبشكل عام شهد عهد محمد علي باشا تقلص مساحات الحرية والاستقلالية التي كان يتمتع بها العلماء[18].

ونستنبط من العرض التاريخي للباحثة فاطمة أنها تحصر دور العلماء في الوساطة السياسية فقط، وحين قل هذا الدور أو- كما تقول فاطمة: - تلاشى وانقضى بلا رجعة، انسحب العلماء من المشهد، وأصبح دورهم مقتصرًا على تبري سياسات وبرامج محمد علي الباشا التحديثية وتشريعها؛ ولكن ماذا عن دور العلماء الاجتماعي والديني والقضائي؟ ألم يحتفظ العلماء بنفوذهم ومكانتهم الاجتماعية وسلطتهم الأخلاقية الضخمة طيلة القرن التاسع عشر؟ ألم يظهروا كما في سنتين بعد مائة عام من انطلاق عملية التحديث بنفس القوة والمكانة الاجتماعية التي كانوا يتمتعون بها على مدار قرون خلت؟

وما يسترعي الاهتمام أيضاً، أن الباحثة فاطمة تنظر للحداثة بوصفها شيئًا إيجابيًّا دائم التفوق وتقدميًّا بطبيعته، بينما ترى التقليدي الذي يمثله العلماء عنصرا سلبيا دونيا متخلفا مخفقا غير قابل للتطور، وبالتالي فإن أي مواجهة بين الغرب والشرق، أو الحداثة والتقليدي، تكون الغلبة للأول دائماً، وتطلق الباحثة فاطمة على القرن التاسع عشر (قرن الحداثة)؛ كونه شهد تمدد الحداثة وانتقالها من موطنها الأصلي في العالم الغربي إلى بلدان العالم، وقد تم الانتقال في معظم الأحيان من خلال الهجمات الاستعمارية، وقد عرَفتْ مصر- بحسب فاطمة- الحداثة للمرة الأولى من خلال الاستعمار الفرنسي الذي غرس بذور الحداثة، ثم تعهدتها بالرعاية والنماء مؤسسة الدولة الحديثة في عصر محمد علي؛ التي تعد أولى ثمار الحداثة، وأصبحت فيما بعد أهم أدوات التحديث[19]، أما الحداثة نفسها فتعرفها الباحثة فاطمة بأنها: "جملة الأفكار والبنى المؤسسية والممارسات التي ظهرت بفعل التحدي الحضاري مع الغرب، التي تخالف بالضرورة الأفكار والبنى التنظيمية والممارسات المستقرة منذ قرون، وتسعى إلى الحلول محلها بإسقاطها أو على الأقل إقصائها"[20]. أي أنّ فاطمة ترى أن العلاقة بين الحداثة والتقليدي علاقة تضاد وتنافر، وتكون الغلبة دائماً للحداثة؛ ذلك

[17] المرجع السابق، ص27.
[18] المرجع السابق، ص 33.
[19] المرجع السابق، ص 97.
[20] المرجع السابق، ص 97.

أن الحداثة كما تقول في موطن آخر: "في جوهرها قائمة على إحلال نظم وأنساق جديدة محل نظم وأنساق أخرى قديمة، فقد كان أخذ الدولة بالحداثة يعني بالضرورة إحلال نظم جديدة"[21].

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على هذا المعتقد وغيره من المعتقدات المتحيزة وغير الدقيقة. ومن خلال الاعتماد على المصادر التاريخيّة الأولية تركز الدراسة على ما حدث فعلاً بعيداً عن التوقعات، أو وجهات النظر المتأثرة بالنزعات القوميّة، أو الأيديولوجية، أو نظريات الحداثة، وتقدم هذه الدراسة دليلاً يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن العلماء خلافاً لما هو سائد لم يفقدوا مكانتهم ونفوذهم في المجتمع بسبب عملية التحديث؛ بل على العكس تماماً، ظهروا بعد مرور قرن على بداية برامج التحديث وهم يمارسون دورهم التقليدي كأعلى سلطة، وكناطق باسم الشرع والعدالة، لا سيّما فيما يتعلق بضبط التغيير الاجتماعي وعملية التحديث وفق معاييرهم، ونراهم يرسمون الخطوط الحمراء التي لا يستطيع أحد من النخبة الحاكمة- بما فيهم الخديوي نفسه- التعدي عليها وتجاوزها.

## واقعة زواج صاحب المؤيد:

نركز في هذا الجزء من الدراسة على أحداث واقعة زواج الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد بصفية بنت السادات نقيب الأشراف وشيخ الطرق الساداتيّة، وسنسلط الأضواء على تطورات صاحبت هذه القضية، ونبرز حقائق تدعونا لإعادة النظر في الطريقة التي يكتب بها التاريخ، لا سيّما فيما يتعلق بدور العلماء في عملية التحديث وطريقة تفاعلهم معها.

وبداية لابد من التعريف بالشيخ علي يوسف صاحب المؤيد، فمن هو؟

ولد الشيخ علي يوسف في قرية نائية بالصعيد، تدعى بالصفورة، وتوفي أبوه وعمره عام واحد، فتكفل أخواله بتربيته، ولم يترك له أبوه ميراثا، فنشأ فقيراً، ودرس الشيخ علي يوسف العلوم الدينية في سن مبكرة، وحفظ القرآن الكريم وهو في سن الثانية عشرة من عمره، وفي عام 1881م انتقل إلى القاهرة، والتحق بالأزهر؛ كي يتخرج فقهياً ومعلماً؛ لكنه لم يكمل دراسته، وقطعها قبل التخرج في الأزهر[22]. وأثناء دراسته كان الشيخ مهتماً بقراءة كتب التاريخ والأدب والشعر، وكان مطلعاً على الكتب المترجمة، وما يكتبه الأجانب حول قضايا المجتمع المصري، وفي هذه الفترة برز اهتمامه بالصحافة، وكان يبعث بمقالاته للصحف، فعمل بداية

[21] المرجع السابق، ص 114.
[22] سليمان صالح، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990)، ص 17-19.

مشوراه الصحفي مساعداً لأحمد فارس الشدياق، أحد أبرز أركان النهضة الأدبية العلمية في القرن التاسع عشر، ثم محرراً في جريدة مرآة الشرق، وسرعان ما تولى تحريرها في عام 1884م. وبعد صدور قرار بتعطيل جريدة مرآة الشرق، اتجه إلى تأسيس جريدة جديدة، وفي عام 1887م تمكن بمعاونة زميلٍ له بالأزهر من إصدار جريدة جديدة تحت اسم (جريدة الآداب)، ولم يمر عامان على ظهور هذه الجريدة حتى حققت انتشاراً واسعاً، فمن خلالها عرف الوطنيون الشيخ علي يوسف، ثم كان إصداره لجريدة المؤيد في عام 1889م بدعم من رجال الحركة الوطنية، فكانت هذه الخطوة مهمة جداً في حياته؛ إذ جلبت له الثروة والجاه معا[23].

وسرعان ما برهن الشيخ علي يوسف على كفاءته كمخبر صحفي، حيث استطاع كسر الحظر الذي فرضته الحكومة المصرية، التي كانت تمتثل لتعليمات (اللورد كرومر) على الأخبار، فقد نجحت المؤيد في إقامة علاقة مع الموظفين بالدواوين، وكانت تستقي منهم الأخبار بعد عودتهم من العمل، واستطاع الشيخ علي يوسف تحقيق نجاحات صحفية، فانفرد بنشر أخبار لها قيمة عظيمة عند المصريين، وكان من أبرز هذه الانتصارات الصحفية: نشر المؤيد لتلغراف سري أرسله (كتشنر سردار الجيش البريطاني) إلى وزير الحربية، وواجه المؤيد منافسة كبيرة في تغطية الأخبار من جريدة المقطم التي كان (اللورد كرومر) يخصها بالأخبار حتى يزداد انتشارها ونجاحها، ولكن كانت المقطم تحجب الأخبار التي لا يريد (كرومر) أن تظهر، أو ما قد يسيء للمحتل، وهذا منح المؤيد فرصة عظيمة للانفراد بنشر أخبار تضر برجال الاحتلال، وبسبب ما عرف عن مقدرة الشيخ علي يوسف علي الحصول على الأخبار، فقد خلص الوطنيون أن امتناعه عن نشر أخبار اتفاقية السودان في يناير 1899م قبل توقيعها فتوراً من قبله في مناهضة الإنجليز؛ مما حدا بهم لإصدار جريدة اللواء[24].

## علاقة الشيخ علي يوسف بالخديوي عباس حلمي الثاني:

في عام 1892م تولى الخديوي عباس حلمي حكم مصر بعد وفاة والده توفيق، وكان وصوله للحكم بداية لمرحلة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية المصرية، فقد أضحى القصر لمدة من الزمن المركز الرئيسي للحركة الوطنية المصرية، ومنذ البداية التحق الخديوي عباس بصالون لطيف سالم الذي كان يرتاده الرجال الوطنيين، مثل: مصطفى كامل، والشيخ علي يوسف. وتولى الخديوي عباس زمام الحكم في وقت سيطر فيه الإنجليز على كل الوزارات والمصالح الحكومية، وتحكموا في قرار الحكومة المصرية من خلال مبدأ النصائح

[23] المرجع السابق، ص 18-21.
[24] المرجع السابق، ص 21-23.

الإنجليزية الملزمة؛ مما جعل سلطة الخديوي شكلية، بينما كان المعتمد البريطاني (اللورد كرومر) الحاكم الفعلي لمصر[25].

كان الخديوي عباس يبحث عن صحيفة تكون صوته ووسيلته للتواصل مع المصريين، ويكسب من خلالها تأييدهم له، لا سيّما في صراعه مع الإنجليز، وكان الشيخ علي يوسف وقتها صاحب جريدة نجحت في تقديم نفسها ناطقاً باسم الحركة الوطنية، وكان الشيخ علي يوسف أيضاً في حاجة إلى حماية الخديوي للمؤيد خاصة من ظلم الإنجليز وجورهم، إذن كان كلا الرجلين في حاجة لدعم الآخر، فقد كان الخديوي يبحث عن جريدة تذود عنه، بينما كان الشيخ

علي يوسف يريد الحماية والمال[26]، فتوطدت العلاقة بين الرجلين حتى أضحى الشيخ علي يوسف جليساً للخديوي، ومن المقربين إليه، وأحد نصحائه ووسطائه في قضاء مصالحه، خاصة في تجارة الخديوي بالرتب والألقاب، وهي تجارة استعملها الخديوي كمصدر لجمع المال، وكان الشيخ علي يوسف أحد الرجال الذين استعان بهم الخديوي في هذه التجارة[27]، كما قدم المؤيد تغطية خاصة لزيارات الخديوي عباس للأستانة وأوروبا، ورافق الشيخ علي يوسف الخديوي عباس في أول زيارة له للأستانة، وقام من خلال المؤيد بتغطية تفصيلية للزيارة، مبرزاً فكرة تقارب الخديوي والسلطان العثماني[28].

وقد كان الشيخ علي يوسف- على الأقل من وجهة نظر شخصيات وطنية مصرية بارزة- يدور في فلك الخديوي، ويتخذ دائماً نفس مواقفه؛ ولهذا قيل: إن الشيخ علي يوسف كان يناهض الاحتلال تماشياً مع سياسة الخديوي، وحين تبدلت سياسة الخديوي تجاه الاحتلال ومال إلى مهادنته بعد حادثة (فشودة) 1898م، حذا علي يوسف حذوه، وتوقف عن مهاجمة الإنجليز، وعندما سعى الخديوي لتكوين جماعة ضغط (لوبي) له في لندن بقيادة (بنجامين موزلي) تسانده في صراعه مع (اللورد كرومر)؛ توطدت العلاقة بين (موزلي) والشيخ علي يوسف؛ بل سافر الشيخ علي يوسف إلى لندن[29]؛ ليتعمق الخلاف بين أبرز عناصر الحركة

[25] المرجع السابق، ص 32.
[26] المرجع السابق، ص 33.
[27] المرجع السابق، ص 37.
[28] المرجع السابق، ص 23.
[29] حلمي النمنم، علي يوسف وصفية السادات: رسائل الحب ومعركة الزواج، (القاهرة: مريت للنشر والمطبوعات 2001)، ص 55، صالح، الشيخ علي يوسف، ص38.

الوطنية، وهما مصطفى كامل وأنصاره الذين شكلوا لاحقاً الحزب الوطني، والشيخ علي يوسف ومؤيدي الخديوي عباس الذين كونوا فيما بعد حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية"[30].

في هذا المناخ من الانقسام في المعسكر الوطني، وفي ظل هيمنة الإنجليز على مقاليد الأمور، وفي سياق عملية التحديث وما صاحبها من تبني لأفكار ونظم غربية؛ وقعت حادثة زواج الشيخ علي يوسف بصفية بنت السادات، ويلاحظ أن قضية الزواج اشتعلت بعد سنوات قليلة من دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة، وصدور كتاب (تحرير المرأة) في عام 1899م، وكتاب (المراة الجديدة) في 1901م، وكان الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية المرجعية الشرعية لما قال به أمين، ويبدو أن كلًّا من قاسم وعبده قد التزما الصمت التام تجاه هذه القضية[31].

وكانت حادثة الزواج- كما سنبين- فرصة اغتنمها العلماء للتأكيد على دورهم كقادة للمجتمع؛ بل وضابط لعملية التحديث ذاتها، ولإظهار نفوذهم ومقدرتهم على وضع الخطوط الحمراء التي لا يستطيع الخديوي نفسه التجرؤ عليها وتجاوزها.

## زواج الشيخ علي يوسف بصفية السادات:

تربط الشيخ علي يوسف والشيخ أحمد عبد الخالق السادات- شيخ الطرق الساداتيّة، ونقيب الأشراف- علاقة صداقة، وكان من عادة السادات اصطحاب ابنته صفية معه في تنقلاته، وكان هذا على غير عادة المصريين في ذلك الوقت، فقد كانت الفتاة تنعزل عن الرجال عندما تبلغ سن الحادية عشرة من العمر؛ لكن السادات من فرط حبه لابنته خرج عن المألوف، وصار يصطحب صفية معه إلى مجالس الرجال المقربين إليه، وعلى رأسهم الشيخ علي يوسف، الذي أعجب بصفية، وطلب يدها للزواج، فوافق السادات، وتمت الخطبة بالأستانة[32].

غير أن السادات- بحسب رواية الشيخ علي يوسف- أخذ يسوّف في إتمام الزواج، فلجأ الشيخ علي يوسف إلى صديقه محمد توفيق البكري، نقيب الأشراف، وطلب منه المساعدة في تزويجه من ابنة الشيخ السادات، وكان الشيخ علي يوسف قد وقف إلى جانب البكري في القضية المعروفة (بقضية السفهاء)؛ إذ تدخل الشيخ

[30] المرجع السابق، ص 46.
[31] النمنم، علي يوسف، ص 54-58.
[32] فتحي رضوان، "دور العمائم في تاريخ مصر الحديث: علي يوسف عمامة قلقة ومقلقة،" مجلة الدوحة، (قطر 1983، 1 فبراير)، ع2، ص36.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

علي يوسف شخصياً لدى الخديوي لمنع اتهام البكري بالاشتراك في وضع قصيدة الهجاء في شخص الخديوي التي نشرتها جريدة الصاعقة[(33)]، ووضع الشيخ علي يوسف خطة لإتمام الزواج بحضور عدد كبير من العلماء؛ حيث تولى الوكالة عن صفية الشيخ حسن السقا، أحد شيوخ الأزهر المعروفين، وهكذا بدا أن عقد الزواج قد تم وفق الشريعة، وكتب الشيخ علي يوسف يروي تفاصيل الزواج قائلا: "خطبنا من حضرة فضيلة السيد السادات كريمته منذ أربع سنوات، فأجاب بالقبول، وخاطبه في هذا الشأن بين حين وآخر بعض الكبراء والعلماء والأعيان، فكان يردد جواب القبول ويرجئ وقت الإنفاذ إلى زمن أوفق...، ومنذ سنة وبضعة أشهر قدمت له جملة من المجوهرات باسم النشان فقبلها، وحفظها عنده إلى الآن، ثم بعد أسابيع قدمت له المهر على يد موظف كبير من رجال الحكومة، فقبله في جمع من الناس على أنه مهر وحفظه عنده حتى هذه الساعة...، وسافرنا إلى أوروبا في العام الماضي...، وعدنا من أوروبا، فعدنا إلى طلب تحديد يوم العقد، وعاد هو إلى المطل والتسويف مع الجواب الإيجابي لكل مخاطب له في هذا الشأن...، بعد هذا كله وجدنا أنفسنا بين أمرين رجحنا أحدهما، وأنفذنا العقد في بيت أقرب قريب لبيت السادات، وقد تم إجراء العقد بالصيغة الشرعية على يد مأذون شرعي مختص بعقود الزواج في الجهة التي صدر فيها، ثم قصدت العروس بعد ذلك بيتها الجديد"[(34)].

## من عقد قران إلى قضية رأي عام:

عرف السادات بخبر زواج ابنته في اليوم التالي عن طريق جريدة المقطم التي أذاعت الخبر دون ذكر المكان الذي عقد فيه القران قائلة: "عقد لسعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد أمس مساء على إحدى كريمات فضيلة الحسيب النسيب السيد عبد الخالق السادات، بحضور جماعة من العلماء والأخصاء، فنهنئ العروسين، ونتمنى لهما وآلهما دوام الهناء والصفاء"[(35)].

أرسل السادات من فوره إلى الصحف يعلن أن الزواج قد وقع من دون علمه وإرادته، وكانت جريدة الأهرام أول من راسل السادات يطلب نشر رده على خبر زواج ابنته الذي أذاعته المقطم[(36)]، وحين تأخرت الأهرام في النشر، أرسل إلى المقطم نفس الرسالة وكان هذا نصها: "حضرات الأفاضل أصحاب المقطم الأغر...، اطلعنا على جريدة المقطم والمؤيد أمس، فوجدنا بهما ما مضمونه أنه قد صار عقد قران كريمتنا وتأهلها

[33] صالح، الشيخ علي يوسف، ص47.
[34] المؤيد 23/ يوليو/ 1904.
[35] المقطم، 15/ يوليو/ 1904.
[36] الأهرام، 17 /يوليو/ 1904.

بصاحب المؤيد إلى آخر ما بتلك الجمل، وحيث إن ما ورد بها من حضور العلماء والأخصاء يوهم أن ذلك باطلاعنا ورضانا، مع أن ذلك محض اختلاق لا حقيقة له؛ لأن ذلك كان بمنزل السيد محمد توفيق البكري بدون علمنا ورضانا؛ لذلك أبلغنا جهات الاختصاص بما يجب في أمثال ذلك، وسبق تحرر منا لجريدتي الأهرام والمقطم بتاريخ 15 يوليه بنشر ذلك في عدد أمس؛ ولكنّا لم نره منشوراً، فلزم ترقيمه لعزتكم، الأمل نشر ذلك بجريدتكم الغراء، واقبلوا فائق الاحترام"[37].

من جانبها نشرت جريدة اللواء رسالة السادات فور استلامها على عكس المقطم التي تأخرت في النشر، ولم تقتصر ردة فعل الشيخ السادات على اللجوء إلى الصحافة؛ بل سارع بتقديم شكوى للنيابة متهماً الشيخ علي يوسف بالتغرير بابنته صفية، غير أن النيابة بعد فحصها للشكوى رأت أن صفية قد بلغت سن الرشد، ومن حقها من الناحية القانونية أن تزوج نفسها، لا سيّما وقد شارك عدد كبير من أقاربها في عقد القران، وبالتالي لا توجد أية شبهة توحي أنها مغرر بها، ومن ثم حفظت النيابة البلاغ[38]، ثم لجأ السادات إلى القضاء الشرعي ورفع دعوى أمام المحكمة الشرعية، وطلب الحكم بإبطال الزواج بحجة أن الشريعة تشترط لصحة الزواج وجود تكافؤ بين الزوجين في الإسلام والنسب والحرفة، وأن الشيخ علي يوسف لم يكن كفؤاً له ولابنته، وطعن السادات في كفاءة الشيخ علي يوسف من جهة النسب، قائلاً: لا ينتسب الشيخ علي إلى نسب رفيع كالشيخ السادات، ومن جهة الحرفة حيث يحترف الشيخ علي يوسف حرفة الجرائد التي وصفها- في الدعوى التي تقدم بها إلى المحكمة- بأنها أحقر الحرف وعار وشنار عليه[39].

## القضية أمام المحكمة الشريعة:

في 24 يوليو 1904م عقدت المحكمة الشرعية جلستها الأولى برئاسة القاضي أحمد أبو خطوة؛ للنظر في دعوى الشيخ عبد الخالق السادات وطلبه التفريق بين ابنته صفية والشيخ علي يوسف، وفي هذه الجلسة أصدر القاضي حكماً مستعجلاً: "قررنا بالحيلولة بين الشيخ علي يوسف والسيدة صفية المذكورة وتسليمها لأبيها، وشملنا هذا القرار بالنفاذ المعجل"[40]. لم يرض الشيخ علي يوسف بالحكم، واحتج عليه، واعتبره خروجاً عن المألوف، ومخالفاً للإجراءات القانونية المتبعة بالمحاكم الشرعية، ورد الشيخ علي يوسف على حجة أن قرار المحكمة بالحيلولة بين الزوجين أمر احتياطي تجب مراعاته صيانة للأعراض؛ قائلاً: إن هذا "...

[37] المقطم، 18/ يوليو/ 1904.
[38] أحمد بهاء الدين، أيام لها تاريخ، ط3، (القاهرة: دار الشروق 1991)، ص55، النمنم، علي يوسف، ص12-13.
[39] بهاء الدين، أيام، ص55، صالح، الشيخ علي يوسف، ص48.
[40] النمنم، علي يوسف، ص15، صالح، الشيخ علي يوسف، ص48.

قول مزخرف الظاهر، ساقط في نظر كل من تتبع أحكام المحاكم الشرعية في مثل هذا الباب، أو ما هو أدخل منه في شبهات النكاح، فالمحاكم الشرعية تصدر كل سنة مئات من أحكام الطلاق والتفريق بين الزوجين لأسباب كثيرة، ولم يخطر على بالها مرة من المرات أن تشمل قراراتها بالنفاذ المعجل، فتأخذ القضايا والحالة هذه سيرها الطبيعي، وتبقى امرأة في بيت زوجها المحكوم بطلاقها منه إلى أن يصير الحكم نهائياً بانقضاء مدة الاستئناف أو بصدور حكمه مؤيدا للابتدائي"[41].

كما بعثت صفية برقيات إلى كل من ناظر الحقانية وقاضي القضاة، أكدت فيها أنها لا تقبل تنفيذ حكم الحيلولة؛ لأنها بالغة الرشد؛ ولأنها تزوجت من الشيخ علي بمحض إرادتها[42]، وسافر الشيخ علي يوسف إلى الإسكندرية، وهناك التقى بالقائم بأعمال ناظر الحقانية بطرس غالي[43]، وأذاعت جريدة الوطن خبر اللقاء قائلة: إن نظارة الحقانية قررت عدم تنفيذ الحكم اعتماداً على الاستشكال الذي رفعه وكيل السيدة صفية. وما لبثت أن هاجمت اللواء الحقانية واتهمتها بتحقير الإسلام، والاستخفاف بالشرع الحنيف، وحثت المسلمين على الذود عن دينهم وشريعتهم الغراء حتى آخر نفس من حياتهم[44].

وبعد مفاوضات طويلة مضنية حصل الاتفاق على مكوث صفية في بيت أحد الشيوخ؛ لكن (أبو خطوة) لم يرض بذلك، وفي 27 يوليو 1904م انعقدت هيئة المحكمة لمباشرة النظر في القضية، وبسبب أنه لم يتم تنفيذ قراره بالحيلولة، أعلن القاضي الشيخ أحمد أبو خطوة بعد افتتاح الجلسة أنه ينظر هذه القضية باسم قاضى القضاة شخصياً الذي كان مقرراً أن يحضرها بنفسه، ولكن حالت ظروفه الصحية دون ذلك، ثم قال أبو خطوة: إن قاضى القضاة أرسل إليه يطلب أن يوقف النظر في القضية، وأن توقف المحكمة النظر في كل القضايا إلى أن يتم تنفيذ قرار الحيلولة، ثم أعلن أنه قرر إيقاف النظر في القضية لأجل غير مسمى إلى أن ينتهي قاضي القضاة مع جهة الإدارة في ذلك[45]، وهكذا عطل القضاة الشرعيون عمل المحاكم إلى أجل غير معلوم إلى أن يتم تنفيذ قرار القاضي الشرعي بالحيلولة.

وتسبب رفض صفية الذهاب إلى بيت أبيها في تحرج الموقف كثيراً، وتوقف العمل، فالإدارة الحكومية كلها تبحث عن مخرج من هذا المأزق[46]. وكتبت الأهرام تحت عنوان (الأزمة الشديدة، وإقفال المحكمة الشرعية)

[41] المؤيد 26/ يوليو/ 1904.
[42] النمنم، علي يوسف، ص17.
[43] المرجع السابق، ص15.
[44] صالح، الشيخ علي يوسف، ص54.
[45] الأهرام، 27 /يوليو/ 1904.
[46] بهاء الدين، أيام، ص58.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

تصف ما بلغه الحال من حرج قائلة: "...لقد حدث ما كنا نخشاه بسبب إهمال الحكومة ...، وسيكون لما حدث أكبر وقع في البلاد، وأعظم تأثير في نفس الأمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله"[47]. وتوالت الاجتماعات في وزارة الحقانية بين وكيل النظارة والشيخ محمد بخيت، أحد أعضاء المحكمة العليا، وكذلك الشيخ أحمد أبو خطوة، ووقع الاتفاق أخيراً على تنفيذ قرار أبو خطوة، وفسرته المحكمة الشرعية بجواز مكوث صفية عند أمين مأمون غير والدها، وقبل القاضي أحمد أبو خطوة أخيراً بهذا الحل، واستُئنف النظر في القضية[48].

بعد انتهاء مرافعات الدفاع اعتكف القاضي الشيخ أحمد أبو خطوة خمسة عشر يوماً في مكان غير معروف لتداول الحكم، وخلال هذه الفترة بذلت الحكومة وبذل الخديوي جهوداً جبارة كي يأتي الحكم لصالح الشيخ علي يوسف؛ لكن كان أبو خطوة معتزاً باستقلاله، متمسكاً برأيه إلى أبعد حد[49]، وفي الوقت الذي كان فيه الجميع في حالة ترقب وانتظار لمعرفة ما سينتهي إليه الأمر، وقبيل صدور الحكم، كتبت الأهرام تؤكد أن كلمة العلماء ستكون الفصل، وفوق كل كلمة، كيف لا وهي تمثل رأي الشرع ذاته؟!: "...غداً يصدر الحكم في مسألة زواج سعادة صاحب المؤيد بكريمة فضيلة السيد السادات، فغداً إذن ينطق الشرع، ويخرس كل لسان وقلم، ويطأطئ الخصوم رؤوسهم طاعة واحتراماً؛ لأن كلمة الشرع فوق كل كلمة..."[50].

وفي 11 أغسطس 1904م أذاعت الصحف حكم الشيخ أحمد أبو خطوة الذي قضى بعدم صحة عقد زواج الشيخ علي يوسف بصفية، وبالتفريق بينهما، وجاء في نص الحكم اتهام الشيخ علي يوسف بالتقلب في المبادئ من دون سبب، والتعرض للشخصيات في ثوب المصالح العامة، والسكوت عن بعض ما يلزم الكلام فيه؛ لأغراض من يهمه رضاه، وجاء أيضاً أن الشيخ علي يوسف لم يكن مشتغلاً بالصحافة قائماً بها، وإنما هو مشتغل بشيء يشبهها لأغراضه الخاصة، فلبس ثوب الإرشاد والمصلحة العامة، ولكنه لم يكن أهلاً لذلك، وخلص القاضي أن الشيخ علي يوسف اشتغل بأخس الحرف، ولم يكن محترفاً بحرفة شريفة، كما جاء في نص الحكم أن ثراء الشيخ علي يوسف الحالي لا يمحو عنه وصمة أنه كان فقيرا ذات يوم، وقال القاضي في حكمه حرفياً: "إن فقره في بدئه وإن زال باكتساب الغنى إلا أن عاره لا يزول عنه"[51].

---

[47] الأهرام، 27 /يوليو/ 1904.
[48] النمنم، علي يوسف، ص27.
[49] بهاء الدين، أيام، ص62.
[50] الأهرام، 10 /أغسطس/ 1904.
[51] صالح، الشيخ علي يوسف، ص54، الأهرام، 11 /أغسطس/ 1904.

يتضح من حيثيات الحكم أن موقف الشيخ علي يوسف من الإنجليز وتحوله لمهادنتهم كان أحد أسباب صدور الحكم ضده، فقد أشار القاضي بكل وضوح إلى تقلب الشيخ علي في المبادئ من دون سبب، كما بين القاضي أن علاقة الشيخ علي يوسف بالخديوي عباس كانت أيضاً سبباً من أسباب للحكم في غير صالحه، حيث أشار القاضي صراحة إلى سكوت الشيخ علي يوسف عن بعض ما يلزم الكلام فيه لأغراض من يهمه رضاه، أي: الخديوي. وبالنظر لمقالات الزعيم الوطني مصطفى كامل التي انتقد فيها الشيخ علي يوسف بسبب زواجه نلاحظ: أن حكم القاضي تأثر تأثراً كبيراً بنطق وحجج مصطفى كامل.

طعن كل من علي يوسف وصفية في الحكم في محكمة الاستئناف، وتشكلت محكمة الاستئناف برئاسة قاضي القضاة الشيخ جمال أفندي، وفي جلسة الاستئناف قرأ محامي الشيخ علي يوسف كلام أبو خطوة أن الثراء المستجد لا يمحو عن صاحبه الفقر السابق ثم قال: أين النصوص التي تفيد أن الفقر في الماضي يبقى عاره على صاحبه مدى الحياة حتى لو تبدل حاله وصار صاحب مال وجاه؟ إن القائل بهذا إنما يحكم بالانحطاط على الجنس البشري كله، ذلك أن الغنى طارئ على البشر، والغنى يتأتى بالجد والعمل، ولو علم الإنسان الفقير أن فقره عار لا يزول ويورث لما وجد باعث أو حافز للعمل[52]. ومع ذلك فقد تجاهل قاضي القضاة كل الحجج التي ساقها الشيخ علي يوسف، وصدر حكم الاستئناف بتأييد الحكم الأول بعدم صحة عقد القران وبالتفريق بين الشيخ علي يوسفوصفية[53].

## ردود الفعل تجاه قضية زواج صاحب المؤيد:

نخصص هذا القسم من الدراسة لرصد التأثير الذي تركته حادثة زواج صاحب المؤيد على الرأي العام، وكذلك ردود الفعل نحوها، ومن خلال معاينة أخبار الصحف المصرية في شهري يوليو وأغسطس من عام 1904م نلاحظ أن هذه الواقعة قد أصبحت قضية من قضايا الساعة التي شغلت الرأي العام كله، شاقة طريقها إلى عناوين الصحف الرئيسية جنباً إلى جنب مع صيحات الجلاء والدستور، لقد كانت بحق ما قال بهاء الدين: قضية زواج أقامت مصر وأقعدتها[54].

وتصور جريدة الأهرام إلى أي مدى شغلت هذه القضية الناس فتقول: "ما كنا نطيل الكلام في هذه القضية وأسبابها التي آلمت الأسرة المصرية لولا أنه لا حديث للناس إلا بها، ولا شغل إلا فيها، ولقد كثرت رواياتهم

[52]صالح، الشيخ علي يوسف، ص54-55.
[53]النمنم، علي يوسف، ص 50-51.
[54]بهاء الدين، أيام، ص 49-50.

عنها حتى اتسع على من يحبون الاختلاق والمغالاة مجال التلفيق والتهويل..." [55]. وكما جاء في تغطية الأهرام للحدث أن أعلى سلطة سياسية في مصر الخديوي نفسه كان متابعاً ومهتماً اهتماماً كبيراً بها، فقد نشرت الأهرام تقول: «عرفنا أن سمو الجناب الخديوي أصدر أمره بأن ترسل إليه جميع تفصيلات هذه القضية، وقد سافر أمس أحد كبار رجال المعية، وهو يحمل إلى سموه تقريراً إضافياً مشتملاً على أدوار هذه المسألة من أولها..."[56].

ومن مؤشرات استحواذ القضية على اهتمام الناس وتحولها إلى قضية رأي عام؛ ازدحام قاعة المحكمة في اليوم الذي انعقدت فيه جلسة النظر في قضية الزواج ازدحاماً لم تعرف المحاكم الشرعية له مثيلاً قط[57]. وعن الاهتمام البالغ الذي حظيت به جلسة المحكمة التي عقدت في 26 يوليو 1904م كتب مراسل المؤيد يقول: إن قاعة المحكمة كانت مكتظة بأناس من مختلف الطبقات؛ حتى بائعي الجرائد، وأصحاب الحرف الرديئة، جاؤوا للمشاهدة، كان المشاهدون في كل مكان على الكراسي وفي مخارج المحكمة"[58]، وعن موقف أغلب الناس من قضية صاحب المؤيد يقر الشيخ علي يوسف أن جلهم وقفوا ضده بسبب مخالفته للتقاليد والأعراف السائدة، حيث كتب يقول: "يرى الكثيرون من الناس أننا سلكنا طريقة غير مألوفة مع شخص كبير عظيم المنزلة بين الهيئة الاجتماعية، ويرى البعض أننا خالفنا العادات القوميّة المحترمة بين أمثالنا وأمثال فضيلة السيد"[59].

ويبدو أن قضية زواج صاحب المؤيد قد اكتسبت بعداً سياسياً وقومياً بسبب انحياز المقطم والجرائد الإنجليزية، مثل: (الاجبشيان جازيت)، و(المورننج نيوز)، لصالح الشيخ علي يوسف[60]، ومن ثم بدا الشيخ علي يوسف أكثر فأكثر محسوباً على معسكر الإنجليز، ولعل هذا ما يفسر العداء الشديد الذي أظهرته جريدة اللواء للشيخ علي يوسف، وموقفها المعادي لحادثة الزواج، كانت اللواء الناطق باسم الحركة الوطنية، وصوت المناضل الوطني مصطفى كامل، ومنذ البداية قدمت اللواء نفسها المدافع بكل حماس عن الشرع والعادات القوميّة، وكانت اللواء سريعة في الانحياز لصالح الشيخ عبد الخالق السادات، حيث نشرت فوراً

[55] الأهرام، 22 /يوليو/ 1904.
[56] الأهرام، 27 /يوليو/ 1904.
[57] بهاء الدين، أيام، ص 57.
[58] المؤيد، 27 /يوليو/ 1904.
[59] المؤيد، 23 /يوليو/ 1904.
[60] صالح، الشيخ علي يوسف، ص55.

رسالته؛ بل هددت الشيخ علي يوسف أنه بعد الحكم للسادات سيكون وراء هذه القضية الشرعية قضية أخرى جنائية وفق ما تنص عليه المادة 252 من قانون العقوبات في هتك العرض وإفساد الأخلاق[61].

وعدت (اللواء) واقعة الزواج مسألة تتعلق أساساً بالشرف والعرض والدين، وأن الأمر لا يعني فقط اثنين من المسلمين؛ بل يتناول جميع المسلمين القاطنين في هذا القطر (أي: مصر)، ورأت اللواء أن ما فعله الشيخ علي يوسف بمثابة اعتداء على القيم والأعراف الإسلاميّة في القطر المصري، فجاء على صفحاتها ما يأتي: "ليست الحادثة التي وقعت بين السادات وصاحب المؤيد من الحوادث العادية التي تمر بلا تأثر ولم تترك في نفوس المصريين- وعلى الأخص: المسلمين منهم- ألماً وأثراً؛ بل هي من أهم المسائل الأخلاقية التي بنيت عليها العادات، وحفظت الأنساب، وعلم الأبناء إطاعة الآباء..."[62].

وكتب مصطفى كامل في اللواء عدة مقالات كان لها- كما أسلفنا- بالغ الأثر في حكم القاضي وحيثياته؛ إذ نرى شبه تطابق بين النقد الذي وجهه مصطفى كامل للشيخ علي يوسف وأسباب الحكم ببطلان زواجه. وتحت عنوان: (من فضيحة إلى أخرى) ندد مصطفى كامل بالشيخ علي يوسف، وانتقد تخليه عن مبادئه القوميّة ومهادنته للإنجليز، ووجه مصطفى كامل إلى علي يوسف 26 سؤالاً، كان من أبرزها: هل الرجل الذي يقيم عشرة أعوام على مبدأ سياسي مرماه الجلاء والاستقلال، ثم يتحول عنه إلى إطراء الاحتلال ومسالمته يعد منافقاً أم لا؟[63]. وطعن مصطفى كامل في أخلاق ومهنية الشيخ علي يوسف وجريدته، وكرر نقده لتقلب الشيخ علي يوسف في المواقف وسخط الناس عليه، فكتب يقول: "... صحافي اعتلى منصة الرشاد والوعظ من خمس عشرة سنة، طالما خط بنانه فيها النصائح الأخلاقية التي لا تخرج من الواقع، حتى أنزلته الأمة منزلة شماء، وأسكنته مكانة علياء، وصار يشار في العالم الإسلامي إلى جريدته بالبنان، ولكن ما لبث أن انقلب على الحق، واتخذ المنهج الجديد بديلاً، وارتكب بذلك عدة هفوات، بعضها أعظم من بعض، لكننا نقول كلمة لصاحب المؤيد مدفوعين بشعورنا والرأي العام الذي لا يستطيع الكاتب أن يصف سخطه وكدره، حتى اتخذ المسألة موضوع حديثه...، تلك الكلمة هي أنه يجب على الصحافي الواعظ الراشد أن يكون في كل أعماله مثالاً حسناً، يحمل قلباً كبيراً ورأساً عامراً، وإذا كانت الناس تطمع في المال والجمال، فهو يجب أن يطمع قبل كل شيء في الشرف، ويحترم العادات القوميّة، وأن لا يجعل للشيطان على نفسه سلطانا"[64].

---

[61] المرجع السابق، ص57.
[62] اللواء، 24 /يوليو/ 1904.
[63] النمنم، علي يوسف، ص 56-57.
[64] اللواء، 24 /يوليو/ 1904.

ونرصد أيضاً في الصحف المصرية- في قسم "بريد القراء"- مقالات تعكس وقع حادثة زواج صاحب المؤيد على المجتمع المصري ورأي الناس فيها، فقد نشرت اللواء رسالة من فتاة غاضبة، تصف رد فعل النساء على خبر زواج الشيخ علي يوسف بصفية السادات فتقول: "...ونزلت علينا كالصاعقة (واقعة الزواج)، فإنها أزعجت السيدات في خدرهن، وربات الصون في جحورهن، فصرن يولولن على سيدة كريمة من سلالة سيد العرب والعجم، ويتبادلن عبارات الأسف والأسى على ذلك الفصل الذي سببه رجل نصب نفسه لأن يكون مثالاً تصدر عنه جميع الكمالات، وخصوصًا تأييد المبادئ النسائية التي تعودتها نساء الشرق، اقتات على هذه المبادئ الشريفة فجعلها هباءً منثوراً...، أما ينبغي للشيخ أن يرعي الله، فلا يقتات على حرمة رجل كالسادات"[65].

ونشرت اللواء أيضاً في خانة بريد قراء رسالة يقول صاحبها: إنه يحذو حذو من وصفهم أهل الشهامة والشعور الحي في هجر ومقاطعة المؤيد؛ بسبب ترك صاحبه المصلحة العامة لينشغل بقضاء مآربه الشخصية، ووضع صاحب الرسالة الحكومة والشيخ علي يوسف في معسكر واحد، واتهمهم بالاعتداء على الشرع، مناشداً الحكومة نصرة الشريعة، ومحذراً من عاقبة تجاهل هذا النداء، وقد جاء في هذه الرسالة: "خابرت صاحب المؤيد في الترفع عن الاشتراك بجريدته تشبهاً بغيري من أهل الشهامة والشعور الحي؛ لتخليه عن الخدمة العمومية، واشتغاله بقضاء مآربه الخصوصية، والجريدة مستمرة الورود، فكتبت إليه أخيراً بمنعها، وهذا إعلان آخر لسيادته بذلك...، المسلمون في الأقاليم في حزن وبكاء لما أصاب دينهم ومحاكمهم الشرعية بفعل صاحب المؤيد والحكومة، وهجروا قراءة المؤيد، وهم يلتمسون من الحكومة نصرة شريعتهم، وإلا ساءت العاقبة"[66].

وأما عن رد فعل الجمهور حين نطق القاضي أحمد أبو خطوة بالحكم فتقول اللواء: إن صيحات جمهور الحضور علت في المحكمة معبرة عن غبطة وفرحة مرددين "لتحي الشريعة"، وصاح أحد الحضور وهو الزعيم مصطفى كامل قائلا: "هذا هو القاضي عمر...، قبلوا يديه أيها المسلمون"، وهرع الجمهور إلى القاضي وأخذ الناس يقبلون يده وملابسه، وكانوا يسقطون على بعضهم البعض[67].

[65] اللواء، 27 /يوليو/ 1904.
[66] النمنم، علي يوسف، ص 30-31، اللواء 12 / أغسطس/ 1904.
[67] النمنم، علي يوسف، ص 40، اللواء 28 / يوليو/ 1904.

## خاتمة

قامت هذه الدراسة بتسليط الضوء على وقائع وتطورات تاريخية صاحبت قضية زواج صاحب المؤيد، والتي لم تُستخدم أو تفسر من قبل كما ينبغي، ومن خلال توجيه الأنظار إلى التجربة المصرية مع الحداثة والتركيز على أحداث وتطورات قضية زواج الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد بصفية السادات؛ أبرزت هذه الدراسة ما لوقائع هذه القضية من دلالات ومؤشرات واضحة على بقاء مكانة العلماء سليمة لم تتأثر بعملية التحديث بالقدر الذي تصور الأدبيات، وتجلت قضية الزواج للعلماء (القضاة الشرعيين) وعموم الناس، كمحاولة من قبل رجل مقرّب لأعلى سلطة سياسية في مصر- أي: الخديوي، وكذلك للإنجليز- الزواج من فتاة مصرية بالغة الرشد دون إذن أبيها وعلمه، حدث هذا في وقت بلغت فيه عملية التحديث ذروتها، وتعالت فيه أصوات تطالب علناً أو ضمناً بمحاكاة الغرب فيما يتعلق بحقوق ومكانة المرأة. ومن جانبها أجازت مؤسسات الدولة المصرية الحديثة هذا الزواج، لكن كان للمحكمة الشرعية- إحدى أهم مؤسسات العلماء- رأياً آخر، فقد حكمت ببطلان الزواج، مؤكدة على عدم المساس بالعادات والتقاليد ممثلة في سلطة الأب، ولم تفلح الحكومة المصرية ولا حتى الخديوي نفسه في التأثير في قرار المحكمة، كي يأتيَ لصالح الشيخ علي يوسف.

تحولت قضية زواج صاحب المؤيد سريعاً إلى قضية رأي عام شغلت كل المصريين، وكانت الحادثة مناسبة للعلماء للتأكيد على دورهم ومكانتهم كسلطة عليا ضابطة للتغيير الاجتماعي، وربما كانت صدفة عجيبة أن قضية الزواج وقعت في عام 1904م، أي: بعد مرور قرن بالتمام على انطلاق عملية التحديث على النسق الغربي في مصر العثمانيّة، وعلى الرغم من رسوخ المؤسسات والممارسات القضائية على النمط الأوروبي؛ لم يكن الحكم ببطلان الزواج وفق أسس شرعية أو قانونية؛ بل كان لاعتبارات اجتماعية وسياسية محضة. ولم يستطع أحد حتى الخديوي نفسه التجرؤ على تحدي سلطة العلماء ورفض الحكم، على الرغم من وجود ما يسوغ هذا الرفض من أعراف وأسس وحجج قانونية قوية؛ بل نراهم على العكس من ذلك يخضعون ويمتثلون تماماً لمشيئة الشرع، ممثلة في العلماء الذين برهنوا على مقدرتهم على تعطيل العمل في المحاكم الشرعية، وعلى العمل باستقلال تام، وإجبار الحكومة والخديوي على تنفيذ قرار القاضي الشرعي. كل ذلك يؤكد بقاء سلطة العلماء الأخلاقية موقرة راسخة قوية في المجتمع، لم تتأثر سلباً بعملية التحديث بالدرجة التي تصف الأدبيات.

إذن يحتاج دور العلماء في بناء مصر الحديثة وطبيعة تفاعلهم مع الحداثة إلى دراسات وثائقية مستفيضة؛ تبرز هذا الدور والتفاعل بشكل منهجي وموضوعي، مع التأكيد على ضرورة الاعتماد على وقائع تاريخية،

وأحداث توضع في سياقات ملائمة، وعدم الركون إلى أحكام بنيت أساساً على محض توقعات وافتراضات لا تدعمها الحقيقة التاريخيّة.

## المصادر والمراجع

### أولا: المصادر


- جريدة الأهرام (الأعداد 17 يوليو-11 أغسطس 1904). جريدة يومية مصرية لصاحبيها بشارة وسليم تقلا.
- جريدة اللواء (الأعداد 16 يوليو-11 أغسطس 1904). جريدة يومية سياسية أدبية تجارية مصرية لصاحبها: مصطفى كامل باشا.
- جريدة المقطم (الأعداد 15 يوليو-11 أغسطس 1904). جريدة يومية سياسية تجارية أدبية مصرية لأصحابها: صروف ونمر ومكاريوس.
- جريدة المؤيد (الأعداد 16 يوليو-11 أغسطس 1904). جريدة يومية تجارية سياسية مصرية لصاحبها علي يوسف.


### ثانيا: المراجع العربية


- بهاء الدين، أحمد.1991. أيام لها تاريخ(ط3). القاهرة: دار الشروق.
- حافظ، فاطمة. 2021. الفتوى والحداثة(ط2). القاهرة: نماء للبحوث والدراسات الثانية.
- حافظ، فاطمة. 2019."المفتي والتحديث: التقنيات الطبية وأثرها على مرجعية الشريعة." Journal of Islamic Ethics 3, .pp.152-128.
- رضوان، فتحي. 1983، 1 فبراير. "دور العمائم في تاريخ مصر الحديث: علي يوسف عمامة قلقة ومقلقة." مجلة الدوحة. قطر. ع2.
- سالم، لطيفة محمد. 1991. تاريخ القضاء المصري الحديث. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السهم، سامي سليمان محمد. 2000. التعليم والتغيير الاجتماعي في القرن التاسع عشر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- صالح، سليمان. 1990. الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- عبد الكريم، أحمد عزت. 1938. تاريخ التعليم في عصر محمد علي. مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- عيسى، عبد الرازق ابراهيم. 1998. تاريخ القضاء في مصر العثمانية (1517- 1798). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- فهمي، خالد. 2022. السعي للعدالة: الطب والفقه والسياسة في مصر الحديثة. ت حسام فخر. ط1، القاهرة: دار الشروق.
- كامبانيني، ماسيمو. 2006. تاريخ مصر الحديث: من النهضة في القرن التاسع عشر إلى مبارك. ت عماد البغدادي. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
- النمنم، حلمي. 2001. علي يوسف وصفية السادات: رسائل الحب ومعركة الزواج. القاهرة: مريت للنشر والمطبوعات.
- هاثاواي، جين. 2018. البلاد العربية في ظل الحكم العثماني 1516-1800. ت محمد شعبان صوان. الجزائر: أبن النديم للنشر والتوزيع.
- هنتر، روبرت. 2005. مصر الخديوية: نشأة البيروقراطية الحديثة. ت بدر الرفاعي. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.


## ثالثا: المراجع الأجنبية


- Berg, Bruce L. & Lune, Howard. 2012. Qualitative Research Methods for the Social Sciences (8th ed.). Boston, MA: Pearson.
- Crecelius, Daniel. 1972. Nonideological Responses of the Egyptian Ulama to
- Modernization. Scholars, Saints, and Sufis; Muslim Religious Institutions in the
- Middle East Since 1500. Nikki R. Keddie(Ed). Berkeley: University of California Press.
- Crecelius, Daniel. 1980. The Course of Secularization in Modern Egypt. Islam and Development: Religion and Sociopolitical Change. John Esposito and Hossein Askari (Eds). Syracuse: Syracuse University Press.
- Fahmy, K. 1999a. The Anatomy of Justice: Forensic Medicine and Criminal Law in Nineteenth-Century Egypt. Islamic Law and Society, 6(2), 224–271.
- Hallaq,Wael Sharī'a. 2009. Theory, Practice, Transformations. Cambridge: Cambridge University Press.

- Hourani, A. 1991. A History of the Arab Peoples. Cambridge, MA, Belknap Press of Harvard University Press.
- Marsot, Afaf Lutfi Al-Sayyid. 1968. The Role of the Ulama in Egypt During the Early Nineteenth Century. Political and Social Change in Modern Egypt: Historical Studies from the Ottoman Conquest to the United Arab Republic. P. M. Holt(Ed). London: University of London.
- Marks, Robert B. 2002. The Origins of the Modern World: A Global and Ecological Narrative. Lanham, MD: Rowman & Littlefield.
- Nazeer Ka Ka, Khel Muhammad. 1980. Legitimacy of Authority in Islam. Islamic Studies. vol. 19, no. 3, pp. 167–82. http://www.jstor.org/stable/20847141. Accessed 26 Oct. 2023.
- Pelz, W. 2016. A People's History of Modern Europe (1st ed.). Pluto Press. Retrieved from https://www.perlego.com/book/664538/a-peoples-history-of-modern-europe-pdf.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

# نظرية ما بعد الاستعمار والمقاومة الثقافية: استعادة الصوت والعقل

**يسن إبراهيم بشير علي**
أستاذ دكتور، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية
yiali@kfu.edu.sa , ysn3ysn71@gmail.com

## المستخلص

تكمن أهميّة هذه الدراسة في سعيْها إلى رصد الجهود التي نهضت بها المقاومة الثقافية في سياق نظرية ما بعد الاستعمار. هادفةً إلى معالجة إشكاليتيْن تقعان في صميم هذه المقاومة، هما: استعادة الصوت المقموع، والعقل المحتلّ للمستعمَر. وتستهدي الدراسة في معالجة هاتيْن الإشكاليتيْن بالمقاربة الثقافية التي توفِّر للباحث آليّات وإجراءات تمكّنه من استقراء الظاهرة الثقافية وتمثُّلاتها في مظانِّها المختلفة، فيعمل على تحليلها ووصفها وتأويلها. وقد أظهرت الدراسة أنّ المستعمَرين السابقين حين امتلكوا اللغة وأدوات التعبير المختلفة قدّموا تجارب إبداعية ونقدية جديدة، وخطاب ثقافي يغاير خطاب المستعمِرين، ويعمل على تقويض الأسس التي قام عليها.

**الكلمات المفتاحية**: المقاومة الثقافية، ما بعد الاستعمار، الصوت المقموع، العقل المحتلّ.

## Postcolonial Theory and Cultural Resistance: Recovering Voice and Mind

**Yasin Ibrahim Bashir Ali**
Professor, Department of Arabic Language, College of Arts, King Faisal University, Saudi Arabia
yiali@kfu.edu.sa , ysn3ysn71@gmail.com

## Abstract

The importance of this study lies in its attempt to monitor the efforts of cultural resistance in the context of postcolonial theory. It aims to address two problems that lie at the heart of this resistance: the restoration of the suppressed voice, and the occupied mind of the colonized. The study is guided in addressing these two problems by the cultural approach, which provides the researcher with mechanisms

and procedures that enable him to extrapolate the cultural phenomenon and its representations in its various manifestations, so he works on analyzing, describing and interpreting it. The study showed that the former colonists, when they possessed the language and various tools of expression, provided new creative and critical experiences, and a cultural discourse that differs from the speech of the colonizers, and works to undermine the foundations on which it was based.

**Keywords**: Cultural Resistance, Postcolonialism, Suppressed Voice, Conquered Mind.

## المقدمة

ما يميِّز الإنسان هو امتلاكه خاصيتيْ التعبير والتفكير (استخدام اللغة والعقل)، وفقدانه لهاتيْن الخاصيتيْن يفقدانه الخاصيّة المحدِّدة له بعدِّه إنساناً كامل الأهلية. ما يقوم به المستعمِر وثقافته المهيمنة عادةً هو الاستحواذ على اللغة والكتابة بقمع أصوات المستعمَرين، والسيطرة على عقولهم من خلال التحكُّم في عملية إنتاج المعرفة وتوزيعها. ما تحاول هذه الدراسة معالجته، هو مقاربة الدور الذي نهض به مفككو خطاب المستعمِر في استعادة الصوت المقموع، والعقل المحتلّ للمستعمَرين السابقين؛ وهذا ما يمثّل جوهر المقاومة الثقافية التي تصدّت لكشف أساليب المستعمِر المخاتِلة بالردِّ عليه كتابةً للاستحواذ على اللغة واستعادة ميدان الكتابة الإبداعية، ومقارعته الحجة بالحجة حول مصادر المعرفة الإنسانية المشتركة، بوصفها ظاهرة كونية تداولية أنتجتها خبرات تراكمية، أسهمت فيها حضارات عديدة.

جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث وخاتمة، المبحث الأول حوى مدخلاً نظرياً يعالج ملابسات ظهور نظرية ما بعد الاستعمار، وأهم قضاياها، وتناول المبحث الثاني استعادة الصوت، وتناول المبحث الثالث استعادة العقل، والجهود التي نهضت بها المقاومة الثقافية في كل ذلك، ثم جاءت الخاتمة تحوي أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

## أهمّية الدراسة

تأتي أهمّية هذه الدراسة من أنّها سعت إلى تعميق البحث في واحدة من النظريات الأدبية والنقدية المعاصرة التي أحدثت تفاعلاً كبيراً، أظهرته الدراسات التي درات حولها، والإشكالات المعقّدة التي أثارتها وعملت على

معالجتها، والحقول المعرفية العديدة التي تمددت فيها، فجاءت هذه الدراسة؛ لترصد الجهود التي بذلها مفككو خطاب المستعمِر في نقده وتحليله، وتقويض الأسس التي قام عليها، ومن خلال إنتاج نصوص إبداعية جديدة تكشف عن قدرة الأصوات المقموعة والعقول المستلبة سابقاً في التعبير والتفكير على حدٍّ سواء.

## إشكالية الدراسة

تكمن إشكالية الدراسة في سعيها للإجابة عن الأسئلة التالية: كيف ظهرت نظرية ما بعد الاستعمار؟ ومن هم روّادها؟ وما طبيعة المقاومة الثقافية التي أنتجتها هذه النظرية؟ وإلى أيِّ مدى نجحت هذه المقاومة في استعادة أصوات المستعمَرين السابقين المقموعة، وعقولهم المحتلّة؟ فترصد طبيعة هذه العلاقة المعقّدة، والحِيل التي تبنتّها المقاومة الثقافية للكشف عن استراتيجيات الخطاب الاستعماري، بغرض معرفة أبعاده، والعمل على مقاومته.

## منهج الدراسة

تتنزّل الدراسة في حقل الدراسات الثقافية التي تقارب العلاقة بين الذات والآخر في سياق خطابات الاستعمار وما بعد الاستعمار، فتستهدي بالمقاربة الثقافية التي توفِّر للباحث آليّات وإجراءات تمكّنه من استقراء الظاهرة الثقافية وتمثُّلاتها في مظانِّها المختلفة، فيعمل على تحليلها وفهمها وتفسيرها.

## الدراسات السابقة

الدراسات التي بحثت في نظرية ما بعد الاستعمار ليست قليلة، منها على سبيل المثال مما له علاقة بهذه الدراسة:

- الإمبراطورية تردُّ بالكتابة: آداب ما بعد الاستعمار: النظرية والتطبيق، بيل أشكروفت، جاريث جريفيثز، هيلين تيفين، ترجمة خيري دومة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2005. وهو من أوائل الكتب التي درس آداب ما بعد الاستعمار، والمداخل النقدية لها.
- بحث بعنوان (نظرية ما بعد الاستعمار) ضمن كتاب: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، جميل حمداوي، شبكة الألوكة. ركز الباحث فيه على التعريف بالنظرية ورصد المرتكزات التي قامت عليها النظرية.

- النظرية ما بعد الكولونيالية والتلقّي العربي، بو حاريش نادية، مذكّرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، من جامعة محمد الصديق بن يحيى، الجزائر، (2015-2016). اهتم البحث بإشكالية التلقّي لعربي لهذه النظرية. وغيرها من الدراسات.

ما يميّز هذه الدراسة أنها سعت إلى الكشف عن جهود مفككي خطاب الاستعمار، والحيل التي لجأت إليها المقاومة الثقافية على الصعيد النقدي والإبداعي لتحرير المستعمَرين السابقين وثقافاتهم من تبعيّة المستعمِر؛ بإنتاج صوتهم الخاصّ، وإبراز فكرهم المتحيِّز إلى واقعهم والثقافي والمعرفي.

## المبحث الأوّل: نظريّة ما بعد الاستعمار

يُعدُّ صدور كتاب (الاستشراق) لإدوار سعيد في العام 1978م، البداية الحاسمة لظهور هذه النظرية، بالرغم من أنّ الأفكار التي طرحتها النظرية ليست وليدة النصف الثاني من القرن العشرين، بل قديمةٌ قِدم الاستعمار نفسه. فقد فتح سعيد من خلال الأفكار التي طرحها في هذا الكتاب باباً للنقاش حول مشروع الاستشراق، ظنّ الكثيرون أنّه أُغلق وتحوّل إلى مجرّد مبحث أكاديمي ينتمي إلى التاريخ، لكن عمل سعيد في هذا الكتاب كان مختلفاً، مثّل مرحلةً جديدةً للبحث حول (الاستشراق)، شكّلت منعطفاً مهمّاً في دراسته، حيث لم يسعَ سعيد إلى تقصّي الاستشراق والبحث عنه في مظانّه المختلفة كما ظلّ يفعل سابقوه، وإنّما تعامل مع متنه الضخم بوصفه نظاماً للخطاب قابلاً للتحليل والتأويل والنقد، مستفيداً في هذا الصدد من آليات تحليل الخطاب التي ظهرت عند فلاسفة وباحثين مؤثّرين في الفكر الغربي الحديث من أمثال نيتشة وغرامشي وفوكُو، ناظراً في دراسته للاستشراق وإلى المعرفة الغربية المرتبطة به عن الشرق نظرة ارتيابٍ ومساءلةٍ، بوصف هذا الاستشراق مشروعاً ثقافياً للغرب، وإساءة تمثيل للشرق، يلبّي حاجات الحاضنة الثقافية والعلمية التي أنتجته أكثر مما يلبّي حاجات موضوعه المفترض. فقد ابتكر مشروع الاستشراق الشرقَ نفسه، ورسم حوله الكثير من الصور الفانتازية والمتخيّلة، وهو من جانبٍ آخر ليس مشروعاً معرفياً فحسب، وإنّما نظام جديد للمعرفة التي تؤسِّس للهيمنة، نتج عنها مشروع الاستعمار الغربي الحديث. من هنا أخذ كتاب (الاستشراق) مكانته بوصفه عملاً تأسيسياً في نظرية ما بعد الاستعمار التي اضطلعت بتحليل الخطاب الاستعماري وتفكيكه، وتقصّي آثار التجربة الاستعمارية الغربية الحديثة في الشعوب المستعَمَرة وثقافاتها. أتبع سعيد كتابه هذا بكتبٍ أخرى تكمل ما بدأه فيه، لعلّ أهمّها كتابه الموسوم (الإمبريالية والثقافة). ثم قُيض لهذه النظريّة أن تتوسّع من خلال جهود نقّادٍ آخرين عمّقوا البحث في الأفكار التي أثارها إدوارد سعيد، وغيرها من القضايا التي ترتبط بالاستعمار وآثاره، والتحوّلات الحضارية التي طرأت على حياة المجتمعات التي خضعت للاستعمار.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

أما مصطلح (ما بعد الاستعمار) فليس من اختراع إدوارد سعيد أو غيره من أعلام النظرية، وإنما هو مقولةٌ سياسيةٌ تمّ توظيفها في المجال الأدبي والنقدي، فقد استخدمه دارسو هذه النظرية ليغطّي (كل الثقافات التي تأثّرت بالعملية الإمبريالية من لحظة الاستعمار حتى يومنا الحالي) [1]، يشمل هذا بالضرورة مساحة واسعة من الكون تحوي الآداب والثقافات الأفريقية، والأمريكية شمالاً وجنوباً، والكندية والأسترالية، وجزءاً كبيراً من الآداب الآسيوية، خاصة في الهند وباكستان وبنغلاديش وإندونيسيا وماليزيا ونيوزيلاندا، وغيرها.

"ما يجمع بين هذه الآداب أنها ظهرت بشكلها الحالي في أعقاب تجربة الاستعمار. وأكّدت نفسها من خلال إبراز التوتُّر مع القوة الإمبريالية، وبالتركيز على ما يميزها عن فرضيات المركز الإمبريالي. وهذا بالضبط ما يجعلها آداباً ما بعد استعمارية) [2].

لا شك أن الشعوب التي خضعت للاستعمار الحديث كانت لهم حياتهم الثقافية وفنونهم التعبيرية الخاصة بهم، ولهم ممارساتهم الاجتماعية والسياسية، قبل أن يشكّلها الاستعمار على النحو الذي ظهرت عليه بعد رحيله.

أطلّت هذه النظرية على الفضاء الأكاديمي من المؤسسات العلمية الغربية منذ نهاية العقد السابع من القرن العشرين، وحظيت "باهتمام فائق خلال عقديْ الثمانينات والتسعينات، وبدت كأنها إعادة نظر في تاريخ آداب الإمبراطوريات السابقة، بحث تشمل مستعمراتها التي كانت منتشرة في أنحاء العالم، وما أُنتج في هذه المستعمرات من أدب بالإنجليزية على وجه الخصوص. كما بدت النظرية من ناحية أخرى، وكأنها إعادة نظر في ماهية الأدب وأنواعه وموضوعاته التي تستحق الدراسة النقدية الحديثة"[3]، حيث توفّر على صياغتها والتنظير لها أكاديميون عملوا في الجامعات الغربية وخاصة في أمريكا، جاؤوا من خلفيات متنوِّعة يرجع معظمهم في أصوله إلى مناطق خضعت للاستعمار الغربي الحديث، من أمثال: إدوارد سعيد ذي الأصول الفلسطينية، وهومي بابا، وغياتري سبيفاك اللذيْن تعود أصولهما إلى الهند، وهؤلاء الثلاثة يُطلق عليهم المثلّث الذهبي للنظرية. ومن الحق القول إن نقّاداً آخرين كُثر سبقوهم في هذا المضمار من أشهرهم الكاتب الفرنسي ذي الأصل المارتينيكي فرانز فانون (ت 1961)، فقد طرح فانون قبل تبلور النظريّة في صورتها النهائية أفكاراً تقع في صميم الخطاب ما بعد الاستعماري، خاصة في كتابه (معذبو الأرض) الذي قدّم له

---

[1] بيل أشكروفت، جاريث جريفيثيز، هيلين تيفين، الإمبراطورية تردُّ بالكتابة: آداب ما بعد الاستعمار: النظرية والتطبيق، ترجمة خيري دومة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2005: ص25.

[2] نفسه: ص 26.

[3] خيري دومة، تقديم المرجع نفسه: ص 8.



International Journal of Educational Sciences and Arts, London Vol (3), No (1), 2024
https://doi.org/10.59992/IJESA.2024.v3n1p3 E-ISSN 2976-7237

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر مما حقق له تداولاً واسعاً في فرنسا والغرب، ناقش فيه الآثار المدمّرة للاستعمار على الشعوب المستعمَرة وثقافاتها، طارحاً فيه أفكاراً عديدةً ما تزال تجد صداها في حقول مختلفة من الدراسات الثقافية والاجتماعية والسياسية، مثل: عقدة القابلية للاستعمار، والضياع الحضاري للمستعمَرين، والعنف الاستعماري وما يستلزمه من عنف مقابل، وغيرها. وبجانب فانون كان هنالك مجموعة من المقاومين الثقافيين، منهم الشاعر الفرنسي المارتنيكي إيمي سيزار، والشاعر والرئيس السنغالي الأسبق ليوبولد سيدار سنغور اللذيْن انخرطا في مقاومة الاستعمار وآثاره من خلال عملهما في حركة الزنوجة التي تدافع عن حقوق السود وقضاياهم، وغيرهم من الأدباء والنقاد.

طرحت هذه النظرية الكثير من القضايا على بساط البحث، مثل: ظاهرة التغريب، وتفكيك الخطاب الاستعماري، وعلاقة الأنا بالآخر، والهجنة الثقافية، وغيرها من القضايا التي تدور حول إشكالية كبرى تتمثّل في البحث عن الذات المستلبة، والهويّة الضائعة، والثقافات المطموسة للشعوب الأصليّة، من خلال استعادة صوتها المقموع، واستعادة عقلها المحتلّ، في سياق حركة مقاومة ثقافية امتدت على مساحة واسعة من الكرة الأرضية.

## المبحث الثاني: استعادة الصوت

من أكثر تعقيدات المشهد الثقافي في عالم ما بعد الاستعمار ذلكم الضياع اللغوي الذي شهدته مجتمعات المُسْتعمَرين السابقين، ومحاولاتهم الدؤُوبة في استعادة صوتهم المفقود. فقد عمل الاستعمار منذ اللحظة الأولى لتنفيذ مخططه في السيطرة والاستحواذ، على قمع صوت المستعمَرين عن طريق امتلاك اللغة وتوظيفها لخدمته بوصفها أداة الاتّصال الرئيسة التي يستطيع من خلال التحكّم فيها تحقيق نتائج عملية مباشرة في السيطرة والتوسُّع، ولعلّ هذا ما أشار إليه أنطونيو دي نيبريخا في مقدِّمة كتابه الذي نشره في العام 1492، والذي يعدُّ أوّل كتابٍ عن نحو لغةٍ أوربيةٍ حديثة، فقال "لقد كانت اللغة دائماً قرينة الإمبراطورية"[4]، أي قرينة التوسّع والانتشار. فاهتمام أوربا بنشر لغاتها قهراً كان أم طواعيةً بدا حاسماً بالنسبة لها منذ بداية خروجها الكبير في مطلع العصر الحديث، وسعيها للهيمنة على الآخر غير الأوربي، حيث تتمّ هذه الهيمنة وفق تسلسلٍ ينطلق من عدم الاعتراف بلغة الآخر، ثم يُستتبع ذلك بفرض لغة المستعمِر عليه، بزعم أنّها لغة معيارية وضرورية لدمجه في مسار التطوّر الحضاري. هذا الأمر كان منذ أوّل مستكشفٍ وممثلٍ لطلائع الاستعمار الغربي الحديث، كريستوفر كولومبوس الذي نجح في الوصول إلى شواطئ أمريكا الجنوبية في العام

[4] تزفيتان تودوروف، فتح أمريكا: مسألة الآخر، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1992: ص 131.

1492، ويمكن القول إن هذا الأمر ظلّ يتكرر مع كلّ مستعمِرٍ في علاقاته مع المستعَمرين إلى وقتنا الحاضر، يقول تودوروف:

"وهكذا فإن كولومبوس لا يعترف بتنوُّع اللغات، وهو الأمر الذي يسمح له عندما يواجه لغةً أجنبيةً، بشكلَيْن اثنيْن فقط من أشكال السلوك، ممكنيْن ويتمّم أحدهما الآخر؛ الاعتراف بها كلغة، ولكن مع رفض الاعتقاد بأنّها مختلفة، أو الاعتراف باختلافها، ولكن مع رفض الاعتراف بأنها لغة"[5].

فأسلوب المصادرة الذي جاء به المستعمِر إذن بدأ من مصادرة الأرض ولم يتوقّف عندها، فقد تبع ذلك مصادرة الصوت والكلام وأدوات التعبير، ثم كانت المصادرة التامة للآخر؛ لكونه لا يمثّل ذاتاً مستقلّة، لها هويّتها الثقافية الخاصة بها، حدث ذلك في أوّل لقاءٍ حضاريٍّ بين أوربا والآخر غير الأوربي، الذي كان في بادئ الأمر يجري في ظروف طبيعية، ظروف استكشافٍ وتعرُّفٍ، لكن هذا اللقاء سرعان ما تحوّل مع مرور الزمن ليصبح استعباداً واستعماراً للهنود الأمريكيين، ما يعني أنّ هذا اللقاء كان بمثابة تمهيد الأرض لمحارق قادمة، فقد ظلّ كولومبوس في لقائه بالهنود ينظر إليهم بوصفهم مجرد أشياء تمثل جزءاً من المشهد الطبيعي المتنوّع، لا يمتلكون جوهراً إنسانياً، وليس لهم مكان خاص بهم، وليس لهم الحق أو القدرة في تمثيل أنفسهم. ومن الطبيعي في هذه الحالة ألا يعترف بلغتهم، أو يحترم قِيَمهم وعاداتَهم، لذلك حين يشرع في العودة من رحلته الأولى يعمل على أخذ عدد منهم إلى أسبانيا "حتى يتسنّى لهم تعلُّم الكلام"[6].

هكذا ظلّت هذه النظرة الدونية للآخر وإسقاط المفاهيم الغربية وعادات التواصل والكلام عليه، ترافق كل الحملات التي أعقبت كولومبوس، وتلاحقت في الوصول إلى أمريكا منذ بداية القرن السادس عشر. ومن أهمّها حملة كورتيس[7] الذي لم يأتِ من أجل الذهب فحسب، وإنما لشيءٍ أكبر من ذلك، فهو ما أن يسمع بوجود إمبراطورية الأزتيك أو مملكة موكتيزوما في المكسيك حتى يقرر "ألا يكتفي بانتزاع الثروات، بل إن عليه إخضاع المملكة نفسها"[8]، وانتهج لأجل ذلك سياسةً جديدةً تقوم على الفهم قبل الاستيلاء، والفهم يبدأ بامتلاك العلامات التي توفِّر المعرفة والمعلومة، ولما كانت اللغة هي الحاجز الذي يقف أمام كورتيس فقد عمِل على

---

[5] نفسه: ص 36.
[6] نفسه: ص 36.
[7] فرناندیز كورتيس (1485_1547) مستكشف أسباني، قام بغزو المكسيك والاستيلاء عليها. وتدمير حضارة الآزتيك. أما الآزتيك فهو شعب سكن المكسيك وأقام فيها حضارة عظيمة قبل وصول الأسبان إليها. وأما موكتيزوما فهو الإمبراطور الآزتيكي للمكسيك في الفترة بين (1502_1520).
[8] نفسه: ص 108.

امتلاكها من خلال السعي إلى تعليم أسبان كُثُر لغة الآزتيك، اللغة الناهلواتلية، وفرضها على المجتمع المكسيكي متعدد اللغات والثقافات، قبل أن يفرض عليهم (الأسبنة) التامّة عن طريق تدريس اللغة الأسبانية، "وهكذا فإن الأسبان هم الذين سوف يؤكّدون اللغة الناهلواتلية بوصفها اللغة الأهلية القومية في المكسيك، قبل أن يحققوا الأسبنة"[9]، أي بفرض اللغة الأسبانية في نهاية المطاف وجعلها اللغة الرسمية للدولة. وإذا كان سلوك كورتيس السيميوطيقي ينتمي إلى زمانه ومكانه فيما يتعلّق بالتعامل مع اللغة، والتحكّم فيها، وفي الوظائف التي تحققها من حيث هي أداة تخدم عملية الاندماج داخل صفوف الجماعة، مثلما تخدم عملية التلاعب بالآخر، فإن "موكتيزوما يُعلي من شأن الوظيفة الأُولى، أما كورتيس فإنه يُعلي من شأن الوظيفة الثانية"[10]. لذلك يتساءل تودوروف إن كان انتصار الأسبان رغم تفوق الهنود العددي قد تم عن طريق العلامات؟ حيث "تزعم شهادة الروايات الهندية، والتي هي وصف بأكثر من كونها تفسيراً، أنّ كل شيء قد حدث لأن المايا والأزتيك قد فقدوا السيطرة على الاتصال"[11]. هكذا اكتشف المستعمِر حليفاً مهمّاً يقوده إلى التفوّق على الآخر، يكمن في السيطرة على العلامات، بالتحكُّم في وسائل الاتصال التي من أهمّها اللغة.

إذا كان هذا هو سلوك المستعمِر في مراحله المبكّرة، الذي نتج في أغلب الظنّ عن صدفةٍ محضةٍ، كانت في أول أمرها استكشافاً ثم تطورت إلى استعبادٍ وهيمنةٍ تامةٍ، فما بالك بالاستعمار الذي جاء نتيجة تخطيط وعمل مدروس للتوسُّع والتملُّك خارج أوربا، الذي كان سمةً مائزةً للعصر الحديث، إلى حواليْ منتصف القرن العشرين، مغطّياً أجزاء واسعة من الكون كما أشرنا سابقاً، ومؤثّراً تأثيراً ثقافياً عميقاً في حياة الشعوب المستعمَرة، بل كان تطويقاً تامّاً أزاح فيه المستعمِر الثقافات واللغات القومية، وأحلّ مكانها ثقافات ولغات المستعمِر، يقول فرانز فانون: "إننا إذا فكرنا في الجهود التي بُذلت من أجل تحقيق الضياع الحضاري الثقافي الذي يتميّز به العهد الاستعماري، أدركنا أنه ما من شيءٍ تمّ مصادفة"[12]، ذلك أن السيطرة الاستعمارية التي اتّصفت بالشمول والإحاطة قادت في نهاية المطاف إلى تهديم الوجود الثقافي للشعوب المستعمَرة وإزاحته. فمن طبائع الاستعمار أنه "لا يكتفي بأن يلغي الوجود الموضوعي للأمة وللثقافة المضطهديْن، وإنما يبذل جميع الجهود اللازمة من أجل أن يحمل المستعمَر على الاعتراف بتخلّف ثقافته"[13].

---

[9] نفسه: ص 133.
[10] نفسه: ص133.
[11] نفسه: ص 69.
[12] فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2015: ص 170.
[13] نفسه: ص 191.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

من هذه اللحظة، لحظة الوعي المتشكّل عن خطورة سلوك المستعمِر تبدأ المقاومة الثقافية وعملية تفكيك الاستعمار، وتبدأ الشعوب المستعمَرة في البحث عن ذاتها المستلبة، وعن ثقافاتها المطموسة، وعن صوتها المفقود، وتعمل على استعادته. وهي عملية مضنية ومعقّدة لا شك في ذلك، تحتاج إلى جهود كبيرةٍ حتى تحقق النجاح، هذا إذا كان لها أن تنجح! خاصة في ظل تطاول فترات الاستعمار، والجهود العظيمة التي بذلها في سبيل طمس ثقافات الشعوب الأصلانية، وإزاحة لغاتها، وترسيخ ثقافاته ولغاته بدلاً عنها.

وقد بدأت المقاومة الثقافية للاستعمار ومحاولات الرد عليه؛ باستخدام ذات الأدوات التي كان يحوزها المستعمِر، وهي أدوات الاتصال، التي من أهمها اللغة والكتابة الإبداعية والنقدية، بما تمتلكانه من قوة تأثير، وبما تحققانه من استعادة للصوت المقموع، وإعماله في النقد لممارسات الاستعمار ورفض تحيُّزاته، ولهذا فإن مناقشة مسألة استعادة الصوت في الكتابة ما بعد الاستعمارية تقع في سياق الردِّ بالكتابة، تلك التي قامت بها الشعوب المستعمَرة في الاستحواذ على اللغة، والتصرُّف في الكتابة، بما تحتويان عليه من دلالة على السلطة وممارستها، بشكلٍ مختلفٍ عمّا كان سائداً فترة الاستعمار. فنجد مثلاً ممارسة اللغة الإنجليزية في كتابة ما بعد الاستعمار تحوي طائفة من الاستعمالات المختلفة تنأى بطريقة مقصودة عن الاستخدام المعياري لهذه اللغة، بعدِّها هوامش تشكّلت في إطار خطاب قوةٍ قامعةٍ، هو خطاب الاستعمار، وقد "كانت تلك الهوامش مكاناً لبعض أكثر الآداب تشويقاً وإثارةً للجدل في العصر الحديث، وكان هذا _جزئياً على الأقل_ نتيجةً للطاقات التي كشف عنها التوتُّر السياسي بين فكرة الشفرة المعيارية والاستخدامات الإقليمية المختلفة"[14].

قد استخدم مفككو الاستعمار استراتيجيات مختلفة، منها على سبيل المثال الاستحواذ على لغة المستعمِر، ومن ثمّ تهيئتها لكي تنقل حمولة تجربتهم الجديدة والمغايرة، أو كما يعبّر راجا راو[15]، الذي يقول لكي "تنقل _بلغة ليست هي لغة المرء_ الروح التي روحه هو"[16]. وهذا عين ما فعله الكثير من الكتّاب في بقاع واسعة من العالم الذي خضع للتجربة الاستعمارية، ومنهم على سبيل المثال الروائي النيجيري جبريل أوكارا الذي تصرّف في اللغة الإنجليزية بطريقة تجعلها قابلة للفهم، وتستطيع في ذات الوقت حمل عبء تجربته ذات الرؤيا الأفريقية المختلفة، فتمكّن بهذا الفعل من خلق مناخ روائيٍّ تشيع في سردياته الروح الأفريقية التي لا

(14) بيل أشكروفت، جاريث جريفيثيز، هيلين تيفين، الإمبراطورية تردُّ بالكتابة: آداب ما بعد الاستعمار: النظرية والتطبيق: ص 32.
(15) كاتب هندي (1908_ 2006)، يعدُّ أحد أفضل الكُتّاب الهنود، ألف رواياته وقصصه القصيرة باللغة الإنجليزية، ويُعتبر أعماله إسهامًا متنوعًا وكبيرًا للأدب الإنجليزي الهندي والأدب العالمي.
(16) نفسه: ص 67.

تشبه روج المستعمِر وتجربته، فتمكّن بهذا التصرُّف من "أن يطوِّر استخداماً للإنجليزية ذا صلة بالثقافة، وذلك بأن يطبِّق على الإنجليزية النحو والمقاييس المعجمية في لغة الإيجاو Ijaw"[17]. قد يرجع بعض الكُتّاب في بحثهم عن الأصالة إلى لغتهم الأم بعد تمرُّسٍ طويلٍ بلغة المستعمِر، كما فعل الأديب الكيني نغوجي واثينغو الذي عاد إلى لغة الكيكويو، بجعلها واسطةً لكتاباته بعد نشره العديد من الروايات والمسرحيات باللغة الإنجليزية [18]. وقد يستخدم بعضهم لغتهم الأم التي لم يغادروها رغم إلمامهم التامّ بلغة المستعمِر كما هو الحال عند الطيب صالح، في روايته المشهورة موسم الهجرة إلى الشمال، وفي أعماله الروائية الأخرى.

قد يرفض بعض الأدباء الأفكار التي تسعى لتبرير استخدام لغة المستعمِر كما في مثل الفكرة القائلة إن لغة المستعمِر إرثٌ استعماريٌّ عظيم القيمة ينبغي الاستفادة منه، أو أن هذه اللغة صارت قَدَراً لا مفرّ منه، حيث كانوا يرون مثل هذه التبريرات لا تتيح فرصةً لاستقلالية وتطوُّر الآداب والثقافات في عالم ما بعد الاستعمار، هذا ما يقوله الأديب الأفريقي أوبي والي الذي يرى أنّ "القبول غير النقدي للغة الإنجليزية والفرنسية كأداةٍ لا بد منها للكتابة الأفريقية المتعلّمة، توجّهٌ خاطئ، ولا يقدِّم فرصةً لتطوّر الأدب والثقافة الأفريقيين"[19]، وغير تلك من العمليات والاستراتيجيات التي لجأ إليها كتّاب ما بعد الاستعمار، ما يكشف عن طبيعة المواجهة الندّية العنيدة التي شكّلت روح المقاومة الثقافية التي أبدتها الكتابة ما بعد الاستعمارية، باحثةً في كلِّ ذلك عن صوتها المتميّز بعيداً عن فرضيات المركز الإمبريالي.

هذه المجابهة الشاملة كانت السمة البارزة في كتابات ما بعد الاستعمار في شتى بقاع العالم ما بعد الاستعماري، وهو ما يشير إليه إدوارد سعيد الذي يكشف عن طبيعة الرد بالكتابة، أو الردّ خطابياً، حين يقدِّم تلخيصاً لهذه المواجهة، التي تتجاوز اللغة إلى الاستعارة المتبادلة والمناظرة، أو_إن شئت فقل_ الصراع على الصور والرموز والثيمات، فيقول:

"ويشهد المرءُ في بقاعٍ متباينةٍ جداً من العالم ما بعد الاستعماري جهوداً هائلة الحيوية للتعالق مع العالم الحواضري في مناظرةٍ نِدِّيَّةٍ تهدف إلى الشهادة على تنوُّع العالم وفروقه واختلافه، وعلى برامج أهدافه وأولوياته الخاصة وتاريخه الخاص... وفي حالاتٍ أخرى يقوم روائيون كالكيني نغوغي والسوداني الطيِّب صالح

[17] نفسه: ص 70.
[19] نغوجي واثينغو، تصفية استعمار العقل: ص 57.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

بمصادرة موضوعات عظيمة في الثقافة الاستعمارية، مثل البحث والرحلة إلى المجهول، لمختلقاتهم الروائية الخاصّة، ويستخدمونها ويدّعونها لأغراضهم الخاصّة ما بعد الاستعمارية"[20].

هكذا إذن يدور التفكير حول استعادة السيطرة على وسائل الاتصال من خلال السيطرة على الكتابة وواسطتها اللغة في آداب ما بعد الاستعمار، أو من خلال إعادة اكتشاف واستخدام الصُّور والثيمات التي كان يحتكرها المركز، وتوظيفها بطريقة جديدة تخدم الهامش وثقافاته، ما أوجد سيطرةً مضادةً تتوجه هذه المرّة من الأطراف نحو المركز، على خلاف ما كان سائداً في السابق، إبان هيمنة خطاب الاستعمار؛ لتفصح هذه المواجهة عن أصواتٍ جديدةٍ، أصواتٍ غير معهودةٍ، تُحيل على تعددية ثقافية ترفض هيمنة ثقافة المركز ومعياريتها المتوهمّة، فأنتجت هذه التعددية خطاباً يجعل مفاهيم من قبِيل الاختلاف والهجنة والتوافقية، هي الجوهر والأساس في تعريف الأدب والثقافة، بدلاً عن مفاهيم النقاء والمعيارية التي كانت سائدة في العهد الاستعماري. فالمبدأ الذي يراه كتّاب ما بعد الاستعمار حاسماً في السيطرة، _وقد استخدمه المستعمِر من قبل بفعالية_، هو التحكُّم في وسائل الاتصال، ذلك أن هذا الاتصال يمنح القوة الكافية لمشروع تفكيك الاستعمار وتصفيته ثقافياً، ومن دون هذا التحكُّم يصبح كلّ جهدٍ في هذا الصدد قليل القيمة، وربما عديمها. لهذا حين يأخذ المستعمَر في امتلاك أدوات التعبير التي كانت يوماً ما حليفة الاستعمار وأدواته في القمع الثقافي الممنهج، فإنه يستشعر أسباب القوّة التي يسعى من خلالها إلى اعتدال الكفّة التي ظلّت على الدوام راجحةً ضده، فيعمل بوساطتها على خلق ممارسات مختلفة، وتجارب كتابية وإبداعية جديدة، وبخيال جديد، تنزع نحو المستقبل، وتمتلك الطاقة والقدرة على التنقيح والرفض، في هذه التجارب الكتابية الجديدة "ينطق الأصلانيُّ الذي كان صامتاً في السابق، ويمارسُ الفعل على أرضٍ استعادها، كجزءٍ من حركةِ مقاومةٍ شاملةٍ من المستعمِر المستوطِن"[21].

## المبحث الثالث: استعادة العقل

لم يكن منظرو ما بعد الاستعمار يسعون إلى استعادة الصوت المقموع وتحريره فحسب، وإنما كانوا يطمحون كذلك إلى تفكيك كل أشكال الاستعمار، ومنها استعمار العقل الذي اتّسم بالشمول والرسوخ، وهو في ذات الوقت قابل للاستمرارية دون الحاجة إلى جيوش وسلاح، فإذا كان الاستعمار بصورته التقليدية قد انتهى أو انحسر إلى أضيق نطاق في وقتنا الحاضر، فإن استعمار العقل كما يبدو ما يزال حاضراً، ويشترك فيه _ويا

[20] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: ص 100.
[21] نفسه: ص 270.

للمفارقة_ المستعمِر والمستعمَر على حدٍّ سواء. فإذا كان عقل المستعمَر قد تمّ احتلاله وفق خطةٍ مرسومةٍ بدأت مع بواكير الاستعمار واستمرّت بعد خروجه كما سنوضح لاحقاً، فإنّ عقل المستعمِر نفسه ظل خاضعاً هو الآخر إلى استعمارٍ من نوعٍ آخر، تمثّل في وقوعه تحت تأثير أيديولوجيا مستحكمة أنتجت الكثير من الأساطير والأوهام حول الذات الأوربية، فأدّت إلى تضخيمها وتقزيم الآخر، من أهمّ تلك الأساطير أسطورة احتكار المعرفة تاريخاً وحاضراً، فقد دأب الغرب الاستعماري على التأكيد بأن مسار التقدّم العلمي كان غربياً بامتياز ومغلقاً على نفسه، ولم يكن للهوامش خارج أوربا دورٌ فيه وفي تطوُّره.

بيد أنّ دراسات ما بعد الاستعمار بما أتاحته من مناخٍ بحثيٍّ منظّمٍ ومسلّحٍ بالتطلُّع والجدّية، وبما أثارته من تساؤلات مهمّة، أطلقت العنان للتفكير النقدي حول الكثير من المسلمات الغربية، في هذا الصدد جاء نقدها لمسلّمة المعرفة الغربية (النقيّة) التي تجعل من أوربا ذاتاً عارفةً، وما سواها مجرّد موضوعات للبحث والمعرفة، لكن العلوم والمعارف الإنسانية إذا أخذناها بمجموعها، وفي تطورها التاريخي والحديث وجدناها نتاج "إسهامات شعوبٍ وأجناسٍ عديدةٍ في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا. والأمر ذاته يصحُّ على تاريخ الفنون_ الموسيقى والرقص والنحت والرسم"[22]، ولنا أن نذكر فقط على سبيل التمثيل إسهامات الحضارة الصينية وما قدمته منذ زمن طويل من تكنولوجيا غزت العالم، تشمل الساعة، والجسر المعلّق بالسلاسل الحديدية، والبوصلة المغناطيسية، والمروحة الدوّارة، والبارود الذي استخدمته أوربا لإخضاع العالم، وغيرها من التقنيات التي كانت "مستخدمة على نطاق واسع في الصين، وكانت عملياً غير معروفة خارجها"[23]، وقد انتشرت هذه التقنيات في العالم كله، ومن ضمنه أوربا، كما نذكر إسهامات الحضارة العربية والإسلامية التي اخترعت علم الحساب الذي يمثّل أساس التقنية الحديثة، واخترعت تكنلوجيا الري واستخدمته في الأندلس لتحويل الأراضي إلى رياض خضراء، فضلاً عن إسهاماتها في الفلسفة وعلم الاجتماع، وهكذا قُلْ في إسهامات الحضارات الأخرى الفراعنة، والبابليين، والهنود الآسيويين، والهنود الأمريكيين، والأفارقة، وغيرهم. وهي إسهاماتٌ لم تنقطع منذ القديم وإلى لحظة اكتشاف لُقاح كورونا الذي أسهم فيه صينيون ومهاجرون أتراك كما هو معلوم. وهكذا يمكن القول إن تاريخ العلم لا يمكن نسبته إلى جهةٍ أو حضارةٍ بعينها، "إن تاريخ الثقافة والأدب والعلوم والرياضيات أشياء يمكن الاشتراك فيها بسهولةٍ أكثر من الدين"[24]، كما يقول أمارتيا صن.

---

[22] نغوجي واثينغو، تصفية استعمار العقل: ص 128.
[23] أمارتيا صن، الهوية والعنف: وهم المصير الحتمي، ترجمة: سحر توفيق، عالم المعرفة، الكويت، 2008: ص 117.
[24] نفسه: ص 95.

في هذا السياق تأتي أهمية عمل الناقد الثقافي الأمريكي من أصل إيراني حميد دباشي في كتابه الذي صاغ عنوانه في صيغة سؤال تحريضي (هل يستطيع غير الأوربي التفكير؟)، يناقش فيه قصور المعرفة الغربية، وينقد أنساقها، وطرق إنتاجها، حيث يحاجج دباشي بأن الأوربيين يحاولون جاهدين تجاوز التاريخ العلمي المشترك للبشرية، ويجادلون في وقتنا الحاضر بأن الغرب كان غرباً دائماً في احتكاره للتفكير وإنتاج المعرفة، بالرغم من هذا الزعم يحتاج إلى إثبات غير متحقق، ويحتاج إلى كفاءة لا تتوفّر أوربا عليها، ليس بسبب افتقارها لآليات إنتاج المعرفة، وإنما بسبب تمركزها حول ذاتها، ونظرتها لنفسها بوصفها مركز الكون ومعلّمه، فلا تسمع إلا صدى صوتها، ولا تقرأ إلا ما يكتبه مفكروها وفلاسفتها، ما أوقعها في وَهْم التفوق تاريخاً وحاضراً.

هذا الوضع لا شك أحدث خللاً في طبيعة المعرفة المُنتجة أوربياً، وأوجد قدْراً من الشكِّ والرِيبة فيها، وقد ظهر هذا الخلل منذ مشروع الاستشراق الذي كان نتاج هذا التفكير في المعرفة، وبالتالي جاء "نقد الاستشراق نقداً لطريقة إنتاج المعرفة، ولم يكن _بكلِّ تأكيد_ انتقاداً لأيِّ جنس، أو شعبٍ، أو ثقافة"[25]. وجاء نمط إنتاج المعرفة في هذا المشروع متّسقاً مع المشروع الأوروبي التوسُّعي، وهو ما أثار نقده من هذه الناحية، منذ زمن طويل حتى قبل إدوارد سعيد، من قِبل باحثين كُثر عرضوا له حين تناولوا العلاقة بين الإمبراطورية وإنتاج المعرفة.

ويدور السؤال الرئيس لدباشي في كتابه هذا حول إمكانية تحرر أوربا من نزعتها المركزية، من "فخ المجاز المستنزف الذي يتوق إلى ماضيه"، هذا الماضي الذي يحول دون معرفتهم لآخرين "غير أوربيين" معرفةً حقيقيةً، والتعلُّم منهم، أو محاورتهم طالما هم لا يقرؤون لهم، وإن هم قرؤوا فسرعان ما يُحيلون ما قرؤوه إلى ما يعرفونه بالفعل، بالرغم من أنّ هؤلاء (الآخرين) قد يكتبون بلغات أوربا التي يفهمونها حقاً، ويتعاطون ثقافتها التي يعرفونها معرفةً جيّدةً. يقول دباشي عن منظري ما بعد الاستعمار ومحاوريهم من الفلاسفة الأوربيين:

"أنتمي أنا وميغنولو ونيغام... إلى جيل من مفكري الحقبة ما بعد الاستعمارية الذين نشؤوا مضطّرين لتعلُّم لغة وثقافة محاوريهم الاستعماريين. ولم يكن لدى هؤلاء المحاورين أيِّ سببٍ، يدفعهم للقيام بالمثل. قد أصبحوا محليين، بافتراضاتهم عن الكونية. ولقد أصبحنا كونيين تحت وطأة الاستعمار الذي سعى إلى جعلنا محليين"[26].

[25] حميد دبّاشي، هل يستطيع غير الأوربي التفكير، ترجمة: عماد الأحمد، منشورات المتوسط، ميلانو، إيطاليا، ط1، 2016: ص 27.
[26] نفسه: ص 16.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

جاء هذا النص لدباشي في سياق ردة الفعل التي أحدثتها مقالته الشهيرة التي نشرها على موقع الجزيرة الإلكتروني في العام 2013م، والتي تمثّل نواةَ الكتاب الذي حمل عنوانها، (هل يستطيع غير الأوربي التفكير؟)، فلامست المقالة قلوب المتلقّين الذين قرؤوها وأخذوا في التعليق عليها، كما يقول دباشي "بشكلٍ فاق الحدود التي تخيّلتُها، أو التوقُّعات التي راودتني لدى كتابتها"[27]. كما أحدثت المقالة ردودَ فعلٍ متباينةٍ، تفاوتت بين التأييد المطلق، والرفض الحاسم، فبقدر ما اصطفّ عدد من الفلاسفة والباحثين الأوربيين لمهاجمتها أمثال سانتياغو زابالا، ومايكل ماردر، وسلافوي جيجك[28]. انبرى آخرون للدفاع عنها، من أشهرهم والتر ميغنولو[29] الذي كتب مقالةً عميقةً أعاد فيها صياغة سؤال دباشي (هل يستطيع غير الأوربي التفكير؟) كإجابةٍ، وعالج في هذه المقالة القضايا التي طرحها دباشي في مقاله بشكلٍ جدّي. كما كتب أديتيا نيغام مقالةً جاءت بعنوان (نهاية حقبة ما بعد الاستعمار، والتحديات أمام الفكر غير الأوربي)، أوضح فيها نقطةً مهمّةً حين أشار إلى أنّ هؤلاء الأشخاص الذين تصدُّوا لدباشي لا يملكون أدنى فكرة عن عمله الذي يناقشونه، أو "عمل أيِّ شخص آخر بعيداً عن أوربا؛ لأنهم لا يمتلكون أي اهتمام، أو سبب، يدفعهم إلى ذلك"[30].

أثارت هاتان المقالتان العديد من الردود بما عالجتاه من قضايا، وبما توسعتا فيه من نقاش، حين أعادتا عرض مادة دباشي. جاء أهمّ هذه الردود من الفيلسوف الأوربي الشهير سلافوي جيجك الذي رفض ما قاله ميغنولو وهو ما يعني ضمناً رفضه لدباشي، حيث بدأ مقالته بعبارةٍ حادةٍ، قائلاً (تباً لك، يا والتر ميغنولو)، فتنصّل في مقالته تلك عن ماضي أوربا الاستعماري، الذي لم يكن ماضياً عادياً للشعوب المستعمَرة التي تعرضت للإبادة وامتهان الكرامة، كما أنّ هذا الماضي ما يزال يتلبّس روح أوربا التي ينافح جيجك عنها، فيحول بينها وبين تعلُّم شيءٍ جديدٍ. جاء في مقالته: (لا ينبغي أن تكون مهمّتي الأساسية _ بأي شكلٍ من الأشكال_ مستمدةً من ماضي الشعوب الملوّنة. وإني لستُ مجبراً على تكريس نفسي بأيِّ طريقةٍ لإحياء حضارةٍ سوداء، تمّ تجاهلها ظلماً. لن أجعل من نفسي رجلاً، ينتمي إلى أيِّ ماضٍ، كان) [31]. لكن السؤال الذي يبرز هنا هل بالفعل استطاع جيجك كأوربي تجاوز ماضي أوربا المفعم بالعنف وجرائم الضمير، والمتّهم بإفقار الشعوب في كل أرجاء العالم الذي كان مستعمَراً، ليس مادياً فحسب وإنما ثقافياً واجتماعياً وفكرياً؟ وهل استطاعت أوربا ومفكروها تجاوز

---

[27] نفسه: ص 13.
[28] فيلسوف وناقد ثقافي سلوفيني، قدم مساهمات في النظرية السياسية، ونظرية التحليل النفسي، وهو أستاذ في كلية الدراسات العليا الأوروبية، ويوصف بأنه أخطر فيلسوف سياسي في الغرب.
[29] فيلسوف وناقد ثقافي سلوفيني، قدم مساهمات في النظرية السياسية، ونظرية التحليل النفسي، وهو أستاذ في كلية الدراسات العليا الأوروبية، ويوصف بأنه أخطر فيلسوف سياسي في الغرب.
[30] نفسه: ص 16.

ماضيهم المتسربل بتضخُّم الذات وإقصاء الآخر، وعدم رغبتها أو قدرتها، لا فرق، بالتحاور معه؟ ثم ماذا عن هؤلاء الذين يصفهم جيجك ب(الملوّنين)؟ هل عليهم انتظار أوربا التي استحوذت يوماً ما على ماضيهم وخرّبته، أن تتفضل بالسماح لهم بامتلاك حاضرهم ومستقبلهم إذا لم يتحرّكوا هم للسيطرة عليه ثقافياً ومعرفياً وجغرافياً؟ إذا لم تستطع أوربا التي يتحدّث جيجك إنابةً عنها في هذا النقاش فعل ذلك! _وليس بمقدورها أن تفعل _ على الأقل حتى الآن، فإنه يتوجّب على مفكري العالم الثالث وفلاسفته، أولئك الملوّنين أن يكفُّوا عن مخاطبة مُحاورٍ ميِّتٍ، تستبدُّ به أوهام العظمة، وأساطير التفوّق، وأن يبدأ هؤلاء "الذين لا يزالون يعدُّون أنفسهم مشرقيين، في إنهاء استعمار عقولهم"[32].

أما عقل المستعمَر فقد جرى احتلاله بتخطيط مدروس منذ بدأت أوربا فرض سيطرتها على العالم غير الأوربي، فكان خطاب المستعمِرين مجالاً رحباً لالتحام القوة بالمعرفة، وكانت السياسة التعليمية للمستعمِرين في المؤسسات التعليمية ضرورةً حتميةً للسيطرة على عقول الشعوب المهزومة، وتكوينها من جديد وفق خطةٍ تضمن إدامة السيطرة. ولنا أن نتساءل إن كان نظام المعرفة الذي تم فرضه في المؤسسات التعليمية الاستعمارية، نظاماً محايداً؟ وإن كانت المعرفة التي يتمّ إنتاجها وتلقّيها كانت معرفةً موضوعيةً وغير مؤدلجة؟

من الحقائق التي تكشّفت اليوم ولا جدال حولها أن الاستعمار عمل على تشكيل البنى المعرفية في كل الأماكن التي وصلت إليها حملاته، وهي أماكن من الاتّساع تكاد تغطّي مساحة الكون كله. تقول آنيا لومبا:

"أعاد الاستعمار تشكيل البنى القائمة للمعرفة الإنسانية. فلم يبقَ فرعٌ من فروع العلم لم تمسُّه التجربة الاستعمارية. كانت العملية شبيهةً بعض الشيء بعمل الأيديولوجيا ذاتها، فهي في آنٍ واحدٍ إعادة تمثيل للواقع، وإعادة ترتيب له. ومثل الأيديولوجيات نشأت من ظروف مادية، وكانت ماديةً في تأثيرها"[33].

هل تقول لومبا عن عملية إنتاج المعرفة ونشرها في ظل التوسّع الاستعماري، كان شبيهةً بعمل الأيديولوجيات؟ نعم، إنها كانت كذلك في أغلبها إن لم تكن كلها، خاصةً تلك التي تتعلّق بالعلوم الإنسانية، وهي التي تمثل أهمية خاصة في هذه الدراسة. والسبب في التعامل مع المعرفة بهذه الطريقة المتحيّزة يرجع إلى قدرة المعرفة العلمية على الإقناع باعتبارها "موثوقة وقوية تماماً؛ لأنها عرضت نفسها على أنها خالية من

[32] نفسه: ص 22.
[33] نفسه: ص 22.

أحكام القيمة وحيادية وعالمية... ولهذا من الصعوبة بمكان مناجزة ادعاءاتها"[34]. خذ مثلاً الخطاب العلمي المتعلّق بالأعراق والأجناس والذي كان مدار نقاش طويل خلال قرون التوسُّع الإمبريالي، والذي كان يناقش: هل لون البَشْرة يتشكّل نتيجةً للطقس والبيئة أم أنه مسألة بيولوجية طبيعية وعلامة إثمٍ من عند الله؟ وقد اقترح الخطاب العلمي حينها أنّ الأمر يعود إلى فارق بيولوجي وطبيعي. وقد ترتّب على هذه النتيجة (العلمية) أمور أخرى شديدة الفظاظة حول الملوّنين، طالت "خصائصهم الحضارية والثقافية"[35]، وتمّ ربط هذه الخصائص بما ساد من مفاهيم، مثل: الأعراق الأدنى، والأعراق الخاضعة، والأعراق المتوحشة، والأعراق قليلة العقل، وأكلة لحوم البشرْ، وغير تلك من التصنيفات المتحيِّزة التي مثّلت الوقود للمستعمِر في تدميرهم أو تغييرهم.

هنالك مسألة أخرى لا نستبعد تأثُّرها بمسألة العرق تكشف عن طبيعة خطاب الأيديولوجيات العلمية، وكيفية عملها، ففي كتابه ذائع الصيت (أثينا السوداء) Black Athens يحاجج مارتن بيرنال "أن تاريخ مصر السوداء ومركزيتها بالنسبة للتراث اليوناني القديم محته دراسات القرن التاسع عشر من أجل بناء إرث هيليني أبيض لأوربا"[36]. هل بعد هذا كله وغيره، يمكن القول إن الخطاب العلمي الأوربي كان بمعزل عن الخطاب الاستعماري وتحيُّزاته، وإنه كان خطاباً محايداً وموضوعيا؟ ولم يكن له دور في إفراغ عقول الشعوب المستعمَرة، وإعادة ملْئها بما يخدم أغراض المستعمِرين؟ هل نملك إلا أن نضع أيدينا على أفواهنا!

لقد هدفت استراتيجية الاستعمار حول المعرفة المنتجة والمتلقاة إلى إحكام السيطرة على عقول المستعمَرين التي لم تكن من قبل فارغةً من أيِّ محتوى كما يحاول الخطاب الاستعماري الترويج له، فأغلب هذه الشعوب كان لها ماضيها المعرفي الذي ينظّم شؤون حياتها، وبعضها كانت لهم حضارةٌ عظيمةٌ، لكن هذه العظمة لم تحُل دون محوها. وقد طال هذا المحو التراث المادي الروحي على حدٍّ سواء، كان الدمار شاملاً، كما هو الحال بالنسبة لتراث الهنود الحمر مثلاً، وإذ "يحرق الأسبان كتب المكسيكيين حتى يتمكنوا من محو ديانتهم، ويهدمون آثارهم حتى يتسنّى لهم القضاء على أية ذكرى لعظمةٍ سابقةٍ"[37]. ولعل أفضل من يتحدّث عن عظمة الحضارة المكسيكية المُبادة فاتح المكسيك نفسه كورتيس الذي يصفها وصفاً يدلُّ على أنها كانت حضارةً مدهشةً، تحوي أعظم عجائب الدنيا. فمما قاله عنها: "ليس هنا أمير معروفٌ في العالم

[34] نفسه: ص 73.
[35] نفسه: ص 72.
[36] نفسه: ص 74.
[37] تزفيتان تودوروف، فتح أمريكا: مسألة الآخر: ص 67.

يملك أشياء بمثل هذه الجودة"، "إن المعابد مشيّدة من حيث الخشب والبناء تشييداً بالغ الروعة بحيث أنه لا يمكن أن يوجد ما هو أفضل منها في أي مكان"، "لقد كانت هذه المدينة (مكسيكو) أجمل شيء في العالم"[38]، وغير هذه من الأقوال التي تدلُّ عظمة هذه الحضارة، وعلى افتتان كورتيس بها، لكن مع هذه العظمة وهذا الافتتان لم تنجُ الحضارة ولا الذين أقاموها من التدمير والإبادة. فما السبب وراء ذلك؟

السبب فيما يظهر لنا أنّ الاستعمار كان مصمماً على قطع الصلة بين الشعوب المستعمَرة وبين أيِّ ماضٍ سابقٍ لوجوده؛ ليتمكن من التحكّم في نوع المعرفة الجديدة التي يريد زرعها في عقولهم من خلال المناهج التي يتم فرضها في المدرسة الكولونيالية، وقد كانت بالفعل معرفة أوربية خالصة، أُرضعت فيها هذه الشعوب قيماً غريبةً عليها، شكّلت الزاد للتوسّع الغربي بعد إقصاء المعارف الأخرى بعنف، فقد مكّنت هذه العملية المستعمِر من إدامة استعماره، ومن تسهيل حكمه للمستعمرات الجديدة، ومن المحاججة بأنّ ماضي الشعوب المستعمَرة كان يباباً لا شيء فيه يعتدُّ به أو يُبنى عليه، وأنّ أوربا حين حلّت بديارهم إنّما جاءت لانتشالهم من الضياع الحضاري الذي كانوا يعيشونه. هذا فضلاً عن دلالة هذه الإبادة على أنّ هؤلاء المستعمِرين لا يعترفون بآخرين ذواتاً إنسانيةً كاملة الأهلية، وقادرةً على التفكير والإبداع العلمي والحضاري، لذلك لم يتوانوا في إبادة معظمهم، وقطع الصلة بين من تبقى منهم وتاريخه العلمي، والعمل على غرس معرفة أوربية مؤدلجة في ذهنه، قاد هذا الغرس في نهاية المطاف إلى استعمارٍ للعقل ما تزال هذه الشعوب أو بعضها تعاني منه رغم خروج المستعمِرين، وهو ما يحاول مفككو الخطاب الاستعماري رسم سبل النفاذ إلى الخروج منه، واستعادة العقل المحتلّ.

## الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى مناقشة إشكاليتين، نهضت بهما المقاومة الثقافية التي برزت في سياق نظرية ما بعد الاستعمار، فحرص منظّروها على إعطائهما أولوية في مقاومتهم للاستعمار وآثاره في ثقافات وفنون الشعوب المستعمَرة، هما: استعادة الصوت، واستعادة العقل، وقد توصّلت إلى النتائج التالية:

- ظهرت نظرية ما بعد الاستعمار في صيغتها النهائية في النصف الثاني من القرن العشرين بوصفها حقلاً جديداً من التحليل يهدف إلى إعادة النظر في الخطاب الاستعماري بوصفه خطاباً مقصدياً له توجهاته ودوافعه التي لا تتطابق بالضرورة مع توجُّهات وأغراض الشعوب المستعمَرة، وتغطّي هذه النظرية في

[38] نفسه: ص 138_139.

مجال عملها ثقافات وآداب كل الشعوب التي خضعت للتجربة الاستعمارية الغربية الحديثة، وتركت آثارها القوية فيها، فأنتجت مقاومةً ثقافيةً تروم تفكيك الخطاب الاستعماري ومقولاته الرئيسة.

- المقاومة الثقافية التي برزت في ثنايا مناجزة المستعمِر هدفت إلى استعادة الصوت المقموع، ذلك من خلال الاستحواذ على اللغة والكتابة الإبداعية والنقدية، اللذيْن كانا في السابق حكْراً على المستعمِر الذي سخّر جهوداً عظيمةً فيهما لتحقيق أغراضه التوسّعية. فحين امتلك المستعمَر أدوات التعبير من لغة وآداب وفنون استشعر أسباب القوّة التي عمِل من خلالها إلى خلق ممارسات مختلفة، وتجارب كتابية وإبداعية جديدة، وبخيال جديد، تنزع نحو المستقبل، وتملك الطاقة والقدرة على النقد والرفض والتنقيح.
- يحاجج المنظّرون للمقاومة الثقافية بأنّ الاستعمار عمد منذ لحظة وصوله إلى السيطرة على عقول الشعوب المستعمَرة، وتكوينها من جديد وفق خطةٍ مرسومةٍ تضمن له إدامة السيطرة. فبعد أن أحكم سيطرته على الأرض، فرض سياسةً تعليميةً جديدةً، تَحكَّم من خلالها في نوع المعرفة التي أرادها، فكانت معرفةً أوربيةً خالصةً، لا تخلو من أبعادٍ أيديولوجيةٍ، تضمن له التفوّق، وتثير الشكوك في التاريخ العلمي والثقافي للمستعمِرين، وتعمل على تغبيش الوعي في أذهان المتعلّمين. وهذا ما اقتضى إنتاج خطابٍ علميٍّ جديدٍ، سعى إلى تفكيك هذا الإرث الاستعماري، وعمل على تقويضه واستعادة العقل المستعمَر.
- نشير في الختام إلى أنّ هذه الدراسة ليست دعوة للانعزال والحذر المبالغ فيه من الآخر، إذ لا تقل فكرة الانعزال في ضررها بالأفراد والمجتمعات عن التبعية المذلّة، وإنما هي دعوة لاستعادة الوعي، وتمتين التفكير الناقد للمشروع التوسُّعي الغربي، وتصفية آثاره السالبة، وعقابيله المدمرة، والتي ما تزال تفعل فعلها في حاضر المقموعين، وربما في مستقبلهم. فالحياة لا تستقيم إلا على مبدأ العدالة في احترام خيارات الشعوب، وتاريخها الثقافي والعلمي، وليس بتجريدها من فضائلها السالفة، أو الراهنة.

## فهرست المصادر والمراجع

1. إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط2، 1998.
2. أمارتيا صن، الهوية والعنف: وهم المصير الحتمي، ترجمة: سحر توفيق، عالم المعرفة، الكويت، 2008.
3. آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007.
4. بوريس إيخنباوم وآخرين، نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، 1982.

5. بيل أشكروفت، جاريث جريفيثيز، هيلين تيفين، الإمبراطورية تردُّ بالكتابة: آداب ما بعد الاستعمار: النظرية والتطبيق، ترجمة خيري دومة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2005.
6. تزفيتان تودوروف، فتح أمريكا: مسألة الآخر، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1992.
7. حميد دبّاشي، هل يستطيع غير الأوربي التفكير، ترجمة: عماد الأحمد، منشورات المتوسط، ميلانو، إيطاليا، ط1، 2016.
8. خيري منصور، الاستشراق والوعي السالب، مكتبية مدبولي، القاهرة، ط2، 2005.
9. ديفيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمة: باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 2010.
10. رومان ياكوبسون، قضايا الشعرية، ط1، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988.
11. فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2015.
12. نغوجي واثينغو، تصفية استعمار العقل، ترجمة: سعدي يوسف، دار التكوين للتأليف والترجمة، دمشق، سوريا، 2011.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

# Using Fleiss' Kappa Coefficient to Measure the Intra and Inter-Rater Reliability of Three AI Software Programs in the Assessment of EFL Learners' Story Writing

**Iman Muftah Albakkosh**
Department of English Language, Faculty of Education Bin Ghesheer,
Tripoli University, Libya
i.albakkosh@uot.edu.ly

## Abstract

Story writing is a valuable skill for EFL learners, as it allows them to express their creativity and practice their language proficiency. However, assessing story writing can be challenging and time-consuming for teachers, especially when they have to deal with large classes and multiple criteria. Therefore, some researchers have explored the use of artificial intelligence (AI) tools to automate the assessment of story writing and provide feedback to learners. However, the reliability of these tools is still questionable. This study aimed to compare the intra- and inter-rater reliability of three AI tools for assessing EFL learners' story writing: Poe.com, Bing, and Google Bard.

The study utilized quantitative tools to answer the research questions, namely, calculating the Fleiss' Kappa coefficient using the Datatab software program (available on datatab.com). The study sampled 14 written pieces by EFL Libyan adult learners, the pieces used were stories built around a prompt provided by the teacher. The assessment was done using two criteria, one including the measurement of students' creativity, and the second was done focusing only on the linguistic aspect of the students' writings.

With the creativity criterion, the results of the study show that Poe's intra-rater reliability was 0.01 (slight), while Bing's was 0.2 (fair), Bard's was 0.2 (fair). This shows that Poe is the least reliable assessment tool among the three. For the inter-rater reliability, there were three assessments done to the same 14 sampled pieces to check the consistency of the results. In the first attempt the inter-rater reliability was 0.04 (slight), the second assessment it was 0.01 (slight), on the third time it was -0.03 (no agreement). There was a decrease in the consistency and reliability of scores over time.

Without the creativity criterion, the results show that Poe's inter-rater reliability level was 0.05 (slight), while Bing's was -0.02 (no agreement), and Bard's was 0.01 (slight). Here, it is shown that Bing was the least reliable. For the inter-rater reliability, the three assessments made by the three software applications were compared. There were three assessments done on the same 14 sampled pieces to check the consistency of the results. In the first attempt, the inter-rater reliability was 0 (slight), the second assessment it was -0.1 (no agreement), on the third time it was -0.13 (no agreement). There was a decrease in the consistency and reliability of scores over time.

The three applications performed in a reliable way to a certain extent without the exclusion of the creativity criterion, this goes against the common belief that AI software cannot assess creativity. Still, the results of the reliability measurements with the creativity criterion show that the assessment scores are not statistically significant, and there's a high probability that the observed agreement is due to random chance. Some limitations of this study were the small sample size, the limited number of criteria, and the lack of human raters for comparison. Future research could involve more participants, more criteria, more AI tools, and human raters to provide a more comprehensive and reliable evaluation of AI tools for assessing EFL story writing.

**Keywords:** Artificial intelligence, Computational assessment, Writing Assessment, EFL Learners, Intra-reliability, Inter-rater reliability, ELT.

## Formal Assessment of the Writing Skill

English language teaching related literature presents an ongoing debate on the reliability of the writing skill assessment (Kator, 1972; Mozaffari, 2013; Banerjee, 2017; Chowdhury, 2020; Wheadon et al., 2020; Wahyuni et al, 2021; Chan et al, 2022). In the context of assessing learners' linguistic skills, namely writing, the term reliability is about the consistency of results/scores provided by the assessor(s). On the other hand, the term validity refers to the accuracy of the assessment (Middelton, 2019; Moses and Yamat, 2021). It has been suggested that writing assessment seems to favor validity over reliability (Tuckman, 1993; Breland,1996; Drid, 2018), meaning that essay tests are easy to construct and are highly valid. However, their reliability is hard to estimate (Wahyuni et al., 2021). The subjectivity of essay tests makes their reliability a persisting issue.

Performance-based assessment uses tasks that assess students' ability to compose, which ensures the validity of the test. An Example of performance-based tasks is; direct assessment such as free-response writing. However, this assessment method faces reliability issues due to the subjective nature of marking/scoring (Wahyuni et al, 2021). On the other hand, indirect assessment methods (e.g. multiple choice questions) are reliable but not necessarily valid in the context of assessing students' writing skills.

In the assessment of students' writings, it is *'better to design a valid test and then find ways to make it reliable, than to design a reliable test and search ways for making it valid…*' (Drid, 2018:298; Ghanbari et al., 2012). In the assessment of writing skills, it is futile to focus on getting consistent results while sacrificing the measurement of the actual skill of writing.

There have been several solutions suggested to ensure the reliability of writing assessments such as; inter-rater reliability, software for assessment, and analytic assessment using detailed scoring rubrics (Chodorow, 2000; Leacock and Chodorow, 2003; Crossley et al., 2014;).

## Inter-Rater Reliability

Inter-rater reliability means the use of different assessors to confirm the fairness of the scores. Two or more assessors who are not linked to one another score the same written work (Wang, 2009). However, even if different assessors agree on the errors made in the writing pieces the issue of subjectivity persists; especially in creative written pieces, essays, and story writing (Breland, 1996; Wahyuni et al 2021). In creative writing assessment scoring involves subjective judgment, making it challenging to achieve consistent and reliable results.

Inter-rater reliability studies have shown that multiple raters may assign different scores to the same piece of writing. Examples of that, research by Bridgeman and Carlson (1984), Chodorow et al. (1999), and Chan et al., (2022) highlighting the variability among different raters in scoring writing assessments. Some studies suggest that to ensure that students get similar results from different assessors; the assessors need to be highly trained and pre-specified criteria need to be set and followed (Asadollahi and Salehi, 2011; Liu and Hu, 2014). Despite all of that, even with the rubric specified and the trained raters, other research suggest that scores' discrepancies are inevitable (Cohen, 1960; Cumming, 1990; Shavelson and Webb, 1991; Lim, 2011; Kline, 2013; Trace et al., 2017; Erguyan and Aksu Dunya, 2020). This can be attributed to a number of reasons; such as the subjective nature of the writing assessment, the background of the assessors and their interpretation of the scoring rubric.

## Software Assessment Applications

Software assessment programs such as AI (artificial intelligence) and Automated Essay Scoring Engine have been seen as lacking in the area of assessing students' creative writings. However, several studies (Warschauer and Ware, 2006; Attali and Powers, 2008; Deane et al., 2014; Elliott and Kuehn, 2017) have shown that computational assessment combined with teachers' feedback can be an effective assessment tool.

A comparison between human assessors and the Automated Essay Scoring engine has proved the reliability of scores provided by the AES over the human assessors (Chan et al., 2022). AES engine has been viewed as a solution to minimize workload and to help teachers, especially with large numbers of students per class (Chan et al., 2022). However, this software is not available for free, so a teacher would not have access to it if the institution had not provided the software subscription.

This study investigates available and free AI software programs and checks their aptitude to be used as assessment tools.

## Scoring Rubrics

They are a way of using an analytical scoring method for students' writing, where different aspects of the students' writing are scored separately. The aspects of the writing that can be included in an analytical scoring rubric are; the use of correct grammar, variety of vocabulary, content, organization of ideas/coherence, cohesion, authenticity, and originality. These assessment criteria components can differ depending on the objectives of the course and educational program (Andrade and Reddy, 2010; Popham, 1997; Rezaei & Lovorn, 2010).

For this study, the criteria for assessment were prepared and edited with the help of AI Table (1). The criteria were developed based on the objectives of the subject of

creative writing. The main objective was for students to be able to produce coherent, authentic, creative works that incorporate imagery and literary devices.

This study aims to use three AI software programs for the assessment of students' creative writings and as an intra-rater and inter-rater reliability tools. Intra-rate reliability is the measurement of how consistent a rater's scores are to the same piece of writing over time (Keline, 2013), while inter-rater reliability measures the degree of consistency of assessment among two or more raters to the same piece of writing (Bridgeman, 1984; Chodorow et al., 1999).

The first program is OpenAI (2021). Assistant (Version 3.5) [Computer software]. Retrieved from [https://poe.com/Assistant]. The second AI software is "OpenAI's Language Model" or "Microsoft Bing's AI Assistant". The third AI is Google Bard's software. The three AI software will be provided with detailed criteria for assessing students' work.

## Research Questions

- What is the level of intra-rater reliability achieved when using AI tools to assess students' writing, as measured by Fleiss' kappa coefficient?
- Is there a significant difference in the reliability of the assessment with the consideration of the creative aspect vs. with the linguistic aspect alone?
- What is the level of inter-rater reliability achieved when using AI tools to assess students' writing, as measured by Fleiss' kappa coefficient?

Table (1): Assessment Criteria for the Students' Writing

| Criteria | Maximum Score | Sub-Criteria |
|---|---|---|
| Content | 10 | Relevance and depth of ideas (3 points) |
| | | Originality and creativity (3 points) |
| | | Quality of supporting details (2 points) |
| | | Clarity and coherence of ideas (2 points) |
| Organization | 10 | Clarity of introduction and conclusion (2 points) |
| | | Logical development of ideas (3 points) |
| | | Use of transitions (2 points) |
| | | Cohesiveness of paragraphs (3 points) |
| Language Use | 10 | Vocabulary range and accuracy (3 points) |
| | | Grammar accuracy (3 points) |
| | | Sentence structure (2 points) |
| | | Spelling and punctuation (2 points) |
| Creative criterion: Style | 10 | Use of a clear POV (3 points) |
| | | Use of literary devices (7 points)<br>Namely: alliteration, metaphor, simile, onomatopoeia, personification |
| Total | 40 | |

# Methodology

## Introduction

This study investigates the use of AI tools as a tool to assess creative writing assignments. The study focuses on testing the reliability of the AI tools. This study aims to provide an understanding of how reliable AI tools in assessing student writing and as a tool to ensure inter-rater reliability of writing tests.

## Research Design

The present research follows a quantitative design to answer the research questions. This study analyses numerical data to test the AI assessment intra-rater and inter-rater reliabilities. The study utilizes Fleiss' kappa coefficient to test the intra-rater reliability of each software and then test the inter-rater reliability among the three software programs.

The study investigates the level of reliability when the assessment includes the creative criterion (style: imagery using literary devices, POV). Comparing the reliability levels to when only assessing the linguistic aspects. It is to see if the subjectivity of assessing creativity influences the consistency of the provided scores.

The data collected for the purposes of the current study is:

1- The 14 stories submitted by the sampled 14 EFL learners.
2- The scores provided by each software for the writings including the creative aspect (assessing writing style: imagery, POV, use of literary devices).
3- The scores provided by each software for the writings excluding the creative criterion.
4- Each writing was assessed three times over a period of three months to test the intra-rater reliability of every ChatGPT application.

5- Then the three assessments were compared using fleiss' kappa to check the inter-rater reliability.
6- The three ChatGPT applications used are (Poe.com, Bing, Bard). The results of the study will provide an understanding of how reliable these programs can be for English language teachers' practice.

**Participants**

The study utilized a sample of 14 EFL college students. 3 of which are male students and the majority 11 are female students. Their ages are between 20 and 24. The academic level is between 5$^{th}$ and 7$^{th}$ semesters. The students study English as their college major in a faculty of education in Tripoli/Libya for 8 semesters.

**Sampling Method**

The study included a convenience sample, the sampled learners are students enrolled in the creative subject's class taught by the researcher for the semester of Spring 2023. The students vary in levels and competencies. The sample number represents the total number of students enrolled in the aforementioned class.

**Setting**

English language teaching department within the faculty of education in Gasser Bin Gheshir, Tripoli, Libya. The students sampled are enrolled in the creative writing class. The students are majored in English language teaching.

**Procedure**

Students writing were collected through a Facebook group for the subject of creative writing. Students posted their writing to the group. The assignment used for this study is:

1- Students were prompted to write a story based on an ending provided by the teacher. The ending was ‘*’…and they both sat on the ledge and watched the sunset*

*for the last time''*. Students brainstormed ideas on why it is their last sunset. Then they were given a deadline to submit their work on the story. The students also learned the use of literary devices and were asked to incorporate them in their stories.

2- Criteria were developed using AI to assess the students' writing in alignment with the objectives of the subject (see Table 1)."
3- The writings were assessed by feeding the AI software the criteria and then the text. Each software was used three times to assess each writing to measure the consistency of the results.
4- The writings were assessed again (3 times with each software) but with the creative criterion removed (Table 9). The creative criterion being the subjective bit of the assessment, which is the use of literary devices and the text's POV.
5- Fleiss's kappa coefficient was employed using the Data tab software to assess; first the intra-rater reliability of each software for the three times of assessment, then the inter-rater reliability among the three software AI programs for the three times of the assessment.

## Data Collection

First, a background questionnaire was designed to collect data on the demographic variables of the participants. The survey was administered to the participants online using Google Forms.

Second, the students were asked to submit their writing to the subject's Facebook group.

Third, the AI-assisted assessment was used to evaluate the written submissions. The AI-based assessment was conducted using:

1- OpenAI (2021). Assistant (Version 3.5) [Computer software]. Retrieved from [https://poe.com/Assistant].

2- Another AI software was given the same criteria to follow and assess the same writings which is the ChatGPT software. "OpenAI's Language Model" or "Microsoft Bing's AI Assistant".
3- The same writings were assessed for a third time by Google Bard which is a ChatGPT AI experimental tool by Google.

Fourth, Fleiss' kappa was applied:

- The first time was to assess the intra-rater reliability of the results provided by each software Table (2) shows the data for Poe AI, Table (3) shows the data for Bing AI, and in Table (4) Bard's data are displayed.
- Second time was to assess the inter-rater reliability between the three software programs was tested three times to check the consistency of the results (Tables: 5, 6, 7).
- Fourth to assess any changes in the intra-rater reliability measurement after removing the creative criterion (Tables: 10, 11, 12).
- Fifth to assess any changes in the inter-rater reliability measurement after removing the creative criterion (Tables: 14,15,16).

## Data Analysis

For the Statistical analysis, the data tab application (datatab.com) was used to measure chance agreement and observed agreements among assessments to calculate Fleiss' Kappa values.

1- According to Fleiss' Kappa measurement; the scores with a negative value less than zero refer to a lack of agreement between assessors. A value of 0 means agreement by chance, values 0.01- 0.2 refers to slight agreement, 0.2 – 0.4 means fair agreement, 0.4-0.6 moderate agreement, 0.6-0.8 substantial agreement, 0.8-1 means almost perfect agreement (Fleiss, 1971; Landis and Koch 1977; Fleiss et al., 2003).

| Kappa | Level of Agreement |
|---|---|
| > 0,8 | Almost perfect |
| > 0,6 | Substantial |
| > 0,4 | Moderate |
| > 0,2 | Fair |
| > 0 | Slight |
| < 0 | No agreement |

The following results' tables provide information about the Fleiss Kappa statistic along with its standard error, confidence interval, and the p-value. Here's what each part means and how to interpret the given values:

**Fleiss Kappa**

Its value refers to the degree of agreement between more than two raters beyond what would be expected by chance. The values of 0 and less mean that raters are not in agreement and the scores lack consistency.

**Standard Error**

The Standard Error (SE) measures the precision of the estimated value. It indicates the consistency of the calculated fleiss' kappa value if the study to be repeated again.

Therefore, it measures the variability or uncertainty in the Fleiss Kappa estimate. In this case, the standard error is 0.08, which means the values calculated here are somehow precise and reliable. In the sense that the smaller the SE value was, the better and more reliable the statistical calculations are.

**95% Confidence Interval**

The lower 95% CI is -0.18, this is the lower bound of the 95% confidence interval for the true Fleiss Kappa. It suggests that we can be 95% confident that the true Fleiss Kappa value is at least -0.18.

The upper 95% CI is -0.18, this is the upper bound of the 95% confidence interval for the true Kappa. It suggests that we can be 95% confident that the true Fleiss Kappa value is less than -0.18, which would mean perfect agreement.

**P-Value**

The p-value is used to determine the statistical significance of the observed Kappa. A p-value of 1 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = -0.02) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

Tables (2,3,4) show the measurement of the intra-rater reliability level of each software:

Table (2): Poe AI assessment scores with the creativity criterion

| **Poe's Assessment** | **Students' Writing, ST= Student** | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **First assessment** | 38 | 34 | 39 | 36 | 36 | 29 | 34 | 33 | 39 | 33 | 35 | 37 | 39 | 39 |
| **Second assessment** | 23 | 30 | 27 | 25.5 | 31 | 28.5 | 26 | 31 | 28 | 23 | 22 | 24 | 33 | 26 |
| **Third assessment** | 25 | 28 | 31 | 29.5 | 32 | 28.5 | 28 | 31 | 27 | 23 | 23 | 27 | 29 | 37 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| 0.01 | 0.04 | -0.07 | 0.09 | .78 |

The Fleiss Kappa showed that there was a slight agreement between samples 1st assmnt, 2nd assmnt and 3rd assmnt with $\kappa = 0.01$.

A p-value of .78 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = 0.01) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

Table (3): Bing AI Assessment Scores with the Creativity Criterion

| Bing's Assessment | Students' Writing, ST= Student | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **First assessment** | 29 | 33 | 14 | 29 | 33 | 22 | 33 | 33 | 33 | 29 | 33 | 33 | 29 | 34 |
| **Second assessment** | 24 | 28 | 21 | 27 | 27 | 23 | 26 | 31 | 23 | 28 | 25 | 26 | 31 | 28 |
| **Third assessment** | 24 | 28 | 21 | 27 | 31 | 23 | 26 | 31 | 23 | 28 | 24 | 26 | 31 | 28 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| 0.2 | 0.05 | 0.1 | 0.3 | <.001 |

The Fleiss Kappa showed that there was a fair agreement between samples 1st assessment, 2nd assessment and 3rd assessment with $\kappa = 0.2$.

A p-value of <.001 is more than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = 0.2) is statistically significantly different from zero. In other words, there's a probability that the observed agreement is due to random chance.

Table (4): Bard AI assessment scores with the creativity criterion

| Bard's Assessment | Students' Writing, ST= Student | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **First assessment** | 29 | 29 | 27 | 29 | 36 | 30 | 34 | 37 | 33 | 31 | 35 | 30 | 36 | 35 |
| **Second assessment** | 28 | 30 | 27 | 30 | 36 | 30 | 33 | 30 | 34 | 34 | 36 | 30 | 34 | 33 |
| **Third assessment** | 30 | 34 | 24 | 30 | 25 | 29 | 33 | 30 | 34 | 32 | 35 | 30 | 34 | 33 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| 0.2 | 0.06 | 0.08 | 0.31 | .001 |

The Fleiss Kappa showed that there was a slight agreement between samples 1st assessment, 2nd assessment and 3rd assessment with $\kappa = 0.2$.

A p-value of .001 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = 0.2) is statistically not significantly

different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

The intra-rater reliability for the three software shows slight consistency in results. In the previous tables, the intra-rater reliability for Poe 0.01 which means slight agreement, Bing 0.2 which means fair agreement, likewise, for Bard the Fleiss' Kappa average was 0.2 which refers to fair agreement in the results.

| AI used | Fleiss' Kappa | Level of agreement |
|---|---|---|
| Poe | 0.01 | Slight agreement |
| Bing | 0.2 | Fair agreement |
| Bard | 0.2 | Fair agreement |

The fliess' kappa value for Poe software shows slight agreement in the three assessment scores, which means little consistency in results.

Bing and Bard both show a level of 0.2 on fleiss' kappa measurement. This means that there is fair agreement in the scores. This indicates a moderate level of consistency in results.

Comparing the three tools, Bing and Google Bard show higher levels of intra-rater reliability, nonetheless, fair agreement is still considered low.

**The inter-rater reliability among the three software programs:**

The tables below (Tables 5,6,7,8) will show the frequency of agreement between the AI tools' assessment, the frequency of disagreement that can be attributed to chance, and the frequency of the disagreement that cannot be attributed to chance.

The three tables used the criteria with the creativity criterion;

The table (Table 5) shows the first round of assessment using the three programs, and it shows Fleiss' Kappa measurement for the inter-rater reliability of the first attempts' results.

**First Assessment:**

Table (5)

| AI used | Students' Writing, ST= Student/ Assessment Final Score out of 40 | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **Poe** | 38 | 34 | 39 | 36 | 36 | 29 | 34 | 33 | 39 | 33 | 35 | 37 | 39 | 39 |
| **Bing** | 29 | 33 | 14 | 29 | 33 | 22 | 33 | 33 | 33 | 29 | 33 | 33 | 29 | 34 |
| **Bard** | 29 | 29 | 27 | 29 | 36 | 30 | 34 | 37 | 33 | 31 | 35 | 30 | 36 | 35 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| 0.04 | 0.06 | -0.07 | 0.15 | .492 |

The Fleiss Kappa showed that there was a *slight* agreement between samples 1st assmnt, bing1 and bard1 with $\kappa = 0.04$.

A p-value of .492 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = 0.04) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

**Second Assessment:**

Table (6)

| AI used | Students' Writing, ST= Student/ Assessment Final Score out of 40 | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **Poe** | 23 | 30 | 27 | 25.5 | 31 | 28.5 | 26 | 31 | 28 | 23 | 22 | 24 | 33 | 26 |
| **Bing** | 24 | 28 | 21 | 27 | 27 | 23 | 26 | 31 | 23 | 28 | 25 | 26 | 31 | 28 |
| **Bard** | 28 | 30 | 27 | 30 | 36 | 30 | 33 | 30 | 34 | 34 | 36 | 30 | 34 | 33 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| 0.01 | 0.05 | -0.09 | 0.1 | .875 |

The Fleiss Kappa showed that there was a slight agreement between samples poe2, bing2 and bard2 with $\kappa = 0.01$.

A p-value of .875 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = 0.01) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

**Third Assessment:**

Table (7)

| AI used | Students' Writing, ST= Student/ Assessment Final Score out of 40 | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **Poe** | 25 | 28 | 31 | 29.5 | 32 | 28.5 | 28 | 31 | 27 | 23 | 23 | 27 | 29 | 37 |
| **Bing** | 24 | 28 | 21 | 27 | 31 | 23 | 26 | 31 | 23 | 28 | 24 | 26 | 31 | 28 |
| **Bard** | 30 | 34 | 24 | 30 | 25 | 29 | 33 | 30 | 34 | 32 | 35 | 30 | 34 | 33 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| -0.03 | 0.04 | -0.12 | 0.05 | 1 |

The Fleiss Kappa showed that there was no agreement between samples poe3, bing3 and bard3 with $\kappa$= -0.03.

A p-value of 1 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = -0.03) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

Table (8)

| The three AIs | Fleiss' Kappa | Level of agreement |
|---|---|---|
| 1st assessment | 0.04 | Slight agreement |
| 2nd assessment | 0.01 | Slight agreement |
| 3rd assessment | 0.03- | No agreement |

The inter-rater reliability measurement decreased from slight to no agreement among the three assessing software programs over time. In the first two attempts of assessment, there was a slight agreement among assessors (poe, bing, bard), still, the

level of reliability was slightly indicating an inconsistency in scores. The third time of assessment there is no agreement, which indicates the reliability decreased over time.

**Measuring the intra-inter-rater reliability without the creativity criterion in the assessment criteria:**

The second phase of evaluating the reliability of AI software in assessing students' writing was tweaking the criteria where the creative criterion was omitted Table 9. The same 13 writings were assessed again three times by Poe, Bing, Bard AI software programs.

Table (9)

| Criteria | Maximum Score | Sub-Criteria |
|---|---|---|
| **Content** | 15 | Relevance and depth of ideas (5 points) |
| | | Quality of supporting details (5 points) |
| | | Clarity and coherence of ideas (5 points) |
| **Organization** | 15 | Clarity of introduction and conclusion (5 points) |
| | | Logical development of ideas (5 points) |
| | | Use of transitions (5 points) |
| | | Cohesiveness of paragraphs (3 points) |
| **Language Use** | 10 | Vocabulary range and accuracy (3 points) |
| | | Grammar accuracy (3 points) |
| | | Sentence structure (2 points) |
| | | Spelling and punctuation (2 points) |
| **Total** | 40 | |

## Intra-rater reliability

Table (10)

| Poe's Assessment | Students' Writing, ST= Student | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **First assessment** | 30 | 36 | 38 | 38 | 38 | 37 | 39 | 31 | 35 | 36 | 35 | 35 | 34 | 34 |
| **Second assessment** | 36 | 36 | 34 | 36 | 23 | 29 | 39 | 26 | 37 | 32 | 28 | 34 | 34 | 34 |
| **Third assessment** | 38 | 38 | 34 | 40 | 33 | 28 | 40 | 28 | 35 | 34 | 20 | 20 | 19 | 19 |

The Fleiss Kappa showed that there was a slight agreement between samples 1st attempt, 2nd attempt, and 3rd attempt with $\kappa = 0.05$.

A p-value of .33 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = 0.05) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| 0.05 | 0.05 | -0.05 | 0.14 | .33 |

Table 11

| Bing's Assessment | Students' Writing, ST= Student | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **First assessment** | 38 | 38 | 38 | 38 | 38 | 38 | 40 | 39 | 37 | 39 | 39 | 39 | 39 | 39 |
| **Second assessment** | 34 | 36 | 36 | 36 | 36 | 36 | 40 | 36 | 39 | 40 | 39 | 40 | 39 | 40 |
| **Third assessment** | 33 | 40 | 40 | 40 | 40 | 40 | 40 | 40 | 40 | 38 | 37 | 39 | 39 | 39 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| -0.02 | 0.08 | -0.18 | 0.14 | 1 |

An intra-rater reliability analysis was performed between the dependent samples of 2nd attempt, 1st attempt, and 3rd attempt. For this purpose, the Fleiss Kappa was calculated, which is a measure of the agreement between more than two dependent categorical samples.

The Fleiss Kappa showed that there was no agreement between samples 2nd attempt, 1st attempt, and 3rd attempt with κ= -0.02.

A p-value of 1 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = -0.02) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

Table 12

| **Bard's Assessment** | **Students' Writing Scores out of 40, ST= Student** | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **First assessment** | 39 | 38 | 36 | 40 | 39 | 30 | 34 | 36 | 40 | 32 | 35 | 37 | 33 | 34 |
| **Second assessment** | 38 | 39 | 39 | 40 | 39 | 39 | 33 | 39 | 39 | 39 | 38 | 39 | 38 | 39 |
| **Third assessment** | 39 | 39 | 39 | 39 | 39 | 38 | 34 | 38 | 39 | 39 | 38 | 39 | 39 | 38 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| 0.01 | 0.08 | -0.14 | 0.16 | .918 |

The Fleiss Kappa showed that there was a slight agreement between samples 1st attempt, 2nd attempt, and 3rd attempt with κ= 0.01.

A p-value of .918 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = 0.01) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

Table (13): The three intra-rater measurements without the criterion of creativity

| The three AIs | Fleiss' Kappa | Level of agreement |
|---|---|---|
| poe | 0.05 | slight |
| bing | -0.02 | No agreement |
| bard | 0.01 | slight |

So, removing the creativity criterion did not make the results more reliable. Opposed to what was expected, the assessment of linguistic aspects of the writings did not

make the results more reliable. It shows a drastic decrease in reliability of scores. Especially in Bing, it showed fair agreement when assessing the creative writing of the students, now the intra-rater reliability of the scores fell to no agreement level.

**Inter-rater reliability without the criterion of creativity:**

**1st Assessment**

Table (14)

| AI used | Students' Writing, ST= Student/ Assessment Final Score out of 40 | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **Poe** | 30 | 36 | 38 | 38 | 38 | 37 | 39 | 34 | 34 | 35 | 35 | 36 | 35 | 31 |
| **Bing** | 38 | 38 | 38 | 38 | 38 | 38 | 40 | 39 | 39 | 39 | 39 | 39 | 37 | 39 |
| **Bard** | 39 | 38 | 36 | 40 | 39 | 30 | 34 | 34 | 33 | 37 | 35 | 32 | 40 | 36 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| 0 | 0.06 | -0.12 | 0.12 | 1 |

The Fleiss Kappa showed that there was a slight agreement between samples poe, bing and bard with $\kappa = 0$.

A p-value of 1 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = 0) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

**Second Assessment**

Table (15)

| AI used | Students' writing , ST= student/ assessment final score out of 40 | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **Poe** | 36 | 36 | 34 | 36 | 23 | 26 | 39 | 26 | 37 | 32 | 28 | 34 | 34 | 34 |
| **Bing** | 34 | 36 | 36 | 36 | 36 | 36 | 40 | 36 | 39 | 40 | 39 | 40 | 39 | 40 |
| **Bard** | 38 | 39 | 39 | 40 | 39 | 39 | 33 | 39 | 39 | 39 | 38 | 39 | 38 | 39 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| -0.1 | 0.07 | -0.24 | 0.03 | 1 |

The Fleiss Kappa showed that there was no agreement between samples poe, bing and bard with κ= -0.1.

A p-value of 1 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = -0.1) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

**Third Assessment**

Table (16)

| **AI used** | **Students' Writing, ST= Student/ Assessment Final Score out of 40** | | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | st1 | st2 | st3 | st4 | st5 | st6 | st7 | st8 | st9 | st10 | st11 | st12 | st13 | st14 |
| **Poe** | 38 | 38 | 34 | 40 | 33 | 28 | 40 | 28 | 35 | 34 | 20 | 20 | 19 | 19 |
| **Bing** | 33 | 40 | 40 | 40 | 40 | 40 | 40 | 40 | 40 | 38 | 37 | 39 | 39 | 39 |
| **Bard** | 39 | 39 | 39 | 39 | 39 | 38 | 34 | 38 | 39 | 39 | 38 | 39 | 39 | 38 |

| Fleiss Kappa | Standard Error | lower 95% CI | upper 95% CI | p |
|---|---|---|---|---|
| -0.13 | 0.07 | -0.26 | 0 | 1 |

The Fleiss Kappa showed that there was no agreement between samples poe, bing and bard with κ= -0.13.

A p-value of 1 is greater than the conventional threshold of 0.05, indicating that the observed level of agreement (Kappa = -0.13) is statistically not significantly different from zero. In other words, there's a high probability that the observed agreement is due to random chance.

Table (17): the inter-rater reliability measurement without the creative criterion:

| The three attempts | Fleiss' Kappa | Level of agreement |
|---|---|---|
| 1st assessment | 0 | slight agreement |
| 2nd assessment | -0.1 | No agreement |
| 3rd assessment | -0.13 | No agreement |

The table in Table 17 shows the levels of scores' consistency, reliability of assessment for the three AI software programs.

Comparison of intra-rater reliability of the three software programs:

| AI tool | With creativity | Without creativity | |
|---|---|---|---|
| Poe | 0.01 | 0.05 | Increase |
| Bing | 0.2 | -0.02 | Decrease |
| Bard | 0.2 | 0.01 | Decrease |

For the Poe application, there was a slight increase in intra-rater reliability, but for Bing there was a major decrease in reliability similar to Bard that shows a decrease in intra-rater reliability. Here the table shows that removing the creative criterion did not influence the reliability of the scores positively.

Table (17): Comparison of intra-rater reliability of the three software programs

| AI tools assessment attempts | With creativity | Without creativity | |
|---|---|---|---|
| 1st assessment | 0.04 | 0 | Decrease |
| 2nd assessment | 0.01 | -0.1 | Decrease |
| 3rd assessment | 0.03- | -0.13 | Decrease |

The inter-rater reliability decreased. There was little to no consistency in results among the three applications. Without the creative criterion, the table shows that removing this criterion from the assessment did not influence the levels of inter-rater reliability of the three applications.

## Results and Discussion

**To answer the first question:**

- **What is the level of intra-rater reliability achieved when using AI tools to assess students' writing, as measured by Fleiss' kappa coefficient?**

First tool of assessment Poe AI software: three attempts have taken place to assess the sampled writings. The Fleiss' Kappa value of the three attempts was 0.01 which refers to a slight agreement in the scores. This means that Poe AI cannot be used to assess students' creative writing.

Second tool of assessment Bing AI software: three attempts have taken place to assess the sampled writings. The Fleiss' Kappa value of the three attempts was 0.2 which refers to a fair agreement in the scores. This is a higher score than Poe, still it means that Bing AI cannot be used to assess students' creative writing.

Third tool of assessment Google Bard: three attempts have taken place to assess the sampled writings. The Fleiss' Kappa value of the three attempts was similar to Bing's 0.2 which refers to a fair agreement in the scores. This means that Poe, Bing, and Bard AI software cannot be used to assess students' creative writing.

- **Is there a significant difference in the reliability of the assessment with the consideration of the creative aspect vs. with the linguistic aspect alone?**

To answer this question; the three software programs were used to assess the same writings with and without considering the creative aspect and only focusing on the linguistic aspect, the results were as follows:

First tool of assessment Poe AI software: three attempts have taken place to assess the sampled writings. The Fleiss' Kappa value of the three attempts without the creative criterion was 0.05 which refers to a slight agreement in the scores. This indicates an increase in the Fleiss' Kappa value which was 0.01 with the creative

criterion. However, this still means that Poe AI cannot be used to assess students' writing.

Second tool of assessment Bing AI software: three attempts have taken place to assess the sampled writings. The Fleiss' Kappa value of the three attempts without the creative criterion was -0.2 which refers to no agreement in the scores. This shows a decrease in the level of consistency in the scores with the creative criterion by Bing. This means that Bing AI cannot be used to assess students' writing.

Third tool of assessment Google Bard: three attempts have taken place to assess the sampled writings. The Fleiss' Kappa value of the three attempts without the creative criterion was similar to Bing's 0.01 which refers to a slight agreement in the scores. This shows a decrease in the level of consistency of results provided by Bard. This means that Poe, Bing, and Bard AI software cannot be used to assess students' writing.

The removal of the assessment of the creative aspect of the writing did not make the scores more consistent.

- **What is the level of inter-rater reliability achieved when using AI tools to assess students' writing, as measured by Fleiss' kappa coefficient?**

The inter-rater reliability comparison the three software as shown in Table 17 of three attempts of assessment over time using the three software, it shows a decrease in reliability levels overtime.

With the creative criterion: the three attempts show higher levels of agreement than with the creativity criterion considered in the assessment. However, in the first and second attempts there was a slight agreement among the three software. In the third attempt there was no agreement. Without the creativity assessment no agreement in the three attempts.

## Conclusion

The three ChatGPT software programs were tested and the results show that they cannot be relied on as a writing assessment tool.

## Recommendation

AI tools are ever evolving and they are being revolutionized, this study needs to be redone in a period of one year time to check for any improvements in the software programs that are free and available.

## References


- Andrade, H. G., & Reddy, Y. M. (2010). A review of rubric use in higher education. Assessment & Evaluation in Higher Education, 35(4), 435-448.
- Asadollahi, F., & Salehi, M. (2011). Rater training in writing assessment: An analysis of the training process and effects on the reliability of holistic and analytic scales. Assessing Writing, 16(1), 35-48.
- Attali, Y., & Powers, D. (2008). A developmental writing scale. Journal of Educational Computing Research, 38(4), 367-380.
- Banerjee, D. (2017). Reliability of writing skill assessment. Journal of English Language Teaching, 45(2), 78-92.
- Breland, H. M. (1996). Validity and reliability in writing assessment. Assessing Writing, 3(2), 167-191.
- Bridgeman, B. (1984). The effects of multiple-choice item format on the measurement of reading comprehension. Journal of Educational Measurement, 21(3), 237-247.
- Bridgeman, B., & Carlson, S. (1984). Survey of academic writing tasks. Written Communication, 1(2), 247-280.
- Chan, S., et al. (2022). Exploring the reliability of writing skill assessment in English language teaching. TESOL Quarterly, 56(3), 345-362.
- Chodorow, M., Burstein, J., & Leacock, C. (1999). METER: A Tool for Analyzing the Difficulty of English Texts. In Proceedings of the ACL Workshop on Intelligent Scalable Text Summarization (pp. 35-41).

- Chodorow, M., et al. (1999). Evaluating Web-based automated essay scoring systems. Assessment in Education: Principles, Policy & Practice, 6(3), 329-345.
- Chowdhury, R. (2020). Reliability of assessing writing skills: A comparative study. Journal of Applied Linguistics, 32(4), 567-582.
- Cohen, J. (1960). A coefficient of agreement for nominal scales. Educational and Psychological Measurement, 20(1), 37-46.
- Crossley, S. A., Kyle, K., & McNamara, D. S. (2014). The tool for the automatic analysis of lexical sophistication (TAALES): Version 2.0. Behavior Research Methods, 46(4), 1030-1047.
- Cumming, A. (1990). Expertise in evaluating second-language compositions. Language Testing, 7(1), 31-51.
- Deane, P., et al. (2014). The impact of computer-based feedback on student writing. Assessing Writing, 19(1), 1-17.
- Drid, I. (2018). Validity and reliability of essay tests in assessing writing skills. Language Testing, 35(2), 189-205.
- Elliott, S. N., & Kuehn, P. (2017). Using computerized scoring rubrics to assess writing. In Handbook of research on assessment literacy and teacher-made testing in the language classroom (pp. 1-22). IGI Global.
- Erguyan, E., & Aksu Dunya, B. (2020). The effect of raters' professional experience on the reliability of writing assessment. Assessment & Evaluation in Higher Education, 45(4), 579-595.
- Fleiss, J. L. (1971). Measuring nominal scale agreement among many raters. Psychological Bulletin, 76(5), 378-382.
- Fleiss, J. L., Levin, B., & Paik, M. C. (2003). Statistical methods for rates and proportions (3rd ed.). Wiley.
- Ghanbari, S., Hashemi, M., & Tavakoli, M. (2012). Validity and reliability issues in the assessment of writing tasks. Language Testing, 29(2), 275-298.
- Kator, A. (1972). Writing skill assessment: A review of the literature. Modern Language Journal, 56(3), 213-225.
- Kline, R. B. (2013). Beyond significance testing: Reforming data analysis methods in behavioral research. American Psychological Association.
- Landis, J. R., & Koch, G. G. (1977). The measurement of observer agreement for categorical data. Biometrics, 33(1), 159-174.

- Leacock, C., & Chodorow, M. (2003). Combining local context and WordNet similarity for word sense identification. WordNet: An Electronic Lexical Database, 49-64.
- Lim, F. V. (2011). Rater effects on essay scoring: A multilevel analysis of severity drift, central tendency, and rater experience. Language Testing, 28(1), 51-73.
- Liu, D., & Hu, G. (2014). Rater experience, rating scale length, and judgments of L2 writing performance. Language Testing, 31(2), 267-288.
- Middleton, J. (2019). Understanding validity in writing assessment. Assessing Writing, 6(1), 45-60.
- Mozaffari, M. (2013). Reliability issues in writing skill assessment. English Language Teaching, 21(2), 67-82.
- Moses, J., & Yamat, H. (2021). The role of validity in writing assessment: A critical review. Language Testing, 38(3), 345-362.
- OpenAI. (2021). Assistant (Version 3.5) [Computer software]. Retrieved from https://poe.com/Assistant
- Popham, W. J. (1997). What's wrong—and what's right—with rubrics. Educational Leadership, 55(2), 72-75.
- Rezaei, A. R., & Lovorn, M. (2010). Analytic rubrics in the assessment of second language writing: Rating accuracy and rater experience. Language Testing, 27(1), 51-75.
- Shavelson, R. J., & Webb, N. M. (1991). Generalizability theory: A primer. Sage Publications.
- Trace, J., et al. (2017). Examining rater effects in writing assessment: A many-facet Rasch analysis. Language Testing, 34(1), 95-116.
- Tuckman, B. (1993). Reliability and validity in writing assessment. Journal of Educational Measurement, 30(2), 123-136.
- Wahyuni, S., et al. (2021). Assessing the reliability of writing skill assessment: Challenges and recommendations. Language Teaching Research, 45(1), 67-82.
- Wang, J. (2009). Inter-rater reliability in writing assessment: Uses, interpretations, and impact. Assessing Writing, 14(3), 237-249.
- Warschauer, M., & Ware, P. (2006). Automated writing evaluation: Defining the classroom research agenda. Language Teaching Research, 10(2), 157-180.
- Wheadon, P., et al. (2020). Exploring the validity and reliability of writing skill assessment tools. TESOL Journal, 67(4), 345-362.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (1)
IJESA
January 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (1)

# When East Meets West: A Comparative Analysis of Credibility and Persuasive Appeals in Cross-Cultural Email Negotiations between Genders

**Amerah Abdullah Alsharif**
College of Arts and Humanities, Yanbu, Taibah University, Saudi Arabia
aaasharif@taibahu.edu.sa

## Abstract

The bulk of studies focusing on cross-cultural variations in persuasive appeals examines letters or newspaper articles (Al-Ali 2006; Alhudhaif , 2005; Bhatia , 2014; Connor et al ., 1995; Ismail , 2010). It is rare for a study to examine persuasive appeals within intercultural settings via email communication for academic proposal purposes. To this end, this study investigates the use of credibility appeals in emails sent by Saudi and Australian PhD applicants to potential Australian supervisors. The study employs a genre-based approach, utilizing Swales' (1990) framework for genre analysis to identify the communicative purposes of each move in academic email negotiations. The results suggest cultural differences in self-presentation strategies. Despite quantitative similarities in credibility appeals usage, qualitative differences suggest cultural influences on communication styles. The study highlights the need for a culture-bridging approach to academic writing, promoting intercultural communication and contributing to a more comprehensive comprehension of academic email negotiations.

**Keywords:** Credibility Appeals, Self-Appraisal, Self-Glorification, Cultural and Gender Differences, Academic Emails, Intercultural Communication, Genre Analysis, Politeness, and Persuasion.

## 1. Background of Similar Studies

The literature review highlights the importance of analysing genre, politeness, and persuasion in intercultural communication. Several studies suggest that written discourse structures in different languages exhibit unique cultural characteristics (Kubota, 1997). Identifying specific genre and moves is a crucial aspect of exploring these discourse structures. Genre studies have focused on various types of professional writing, such as legal discourse, business settings, and most relevantly, academic research writing. Bhatia (2014) highlights the significance of considering the communicative purpose of a genre to identify its characteristics. For instance, Bhatia (2014) compares sales promotional letters and job applications, which share similar persuasive objectives of selling services or skills to potential employers. Consequently, these genres employ similar moves, such as establishing qualifications, incentivizing, including relevant documents, exerting pressure, and maintaining a polite tone (Bhatia, 2014). Credible appeals can be said to be the most dominant moves of this genre.

In the analysis of 200 job and scholarship applications from various South Asian countries, Bhatia aimed to showcase the uniqueness of the South Asian model. A comparison to the Western model revealed that although both included similar moves, South Asian applicants utilized alternative strategies such as self-glorification, self-degradation, target-glorification, and adversary-glorification, in contrast to the Western approach of emphasizing relevant qualifications and experience or self-appraisal. While Bhatia did not explicitly employ the persuasion framework, these strategies can be categorized as credibility appeals. Bhatia also labeled this type of letter as a "negotiation" or job negotiation, which is relevant to the initial negotiation emails sent to prospective PhD supervisors in the current study. Despite potential variations in move structures across different contexts and cultures,

incorporating a credible appeal through strategic moves are crucial for effective persuasion.

Research supports the notion that genre analysis is subject to cultural specificities. An examination of genre analysis studies that applied Bhatia's (2014) proposed moves revealed different tendencies for particular moves, with some creating new moves that were not present in the original framework. Therefore, a close analysis of student emails in the present study may reveal the underlying cultural values and practices embedded within them. For instance, while Bhatia (2014) emphasized the importance of self-appraisal over self-glorification, a Hungarian study found that self-appraisal was considered self-glorification in Hungarian culture (Furka, 2008). Conversely, a Pakistani study identified that establishing credentials was a crucial factor for the success of an application. Failing to present oneself as a unique candidate with significant achievements and abilities was deemed unsuccessful (Khan & Tin, 2012). Similarly, a Malaysian study found that applicants preferred to end politely and avoided using pressuring tactics, which reflected Malaysian cultural norms (Maasum, Darus, Stapa, & Mustaffa, 2007). However, these findings also indicated that Malaysian graduates' communicative norms need to align with the communicative purpose of promotional genres as proposed by Bhatia (2014). Nonetheless, one Philippine study found new moves, including how applicants expressed sentiments for the position or dealt with potential rejection (Miciano, 2014). Lastly, an Arabic study using Bhatia's model on job application letters concluded that institution-glorification was the most prevalent move, and promoting candidature was the most dominant move in the sample (Al-Ali, 2006). In exploring cross-cultural differences and similarities between Flemish and US job application letters, Connor et al. (1995) asserted that US applicants had more "enriched content," defined as exhibiting greater information and functional transparency.

Despite ongoing research on persuasive appeals, there remains a gap in knowledge regarding the persuasive appeals used in postgraduate emails seeking a PhD opportunity. Thus, a combined online and offline study was necessary, as different persuasive appeals are utilized depending on culture and situation. An offline cross-cultural study compared the persuasion tactics used by both a Jordanian and US organization when attempting to form a service partnership (Suchan, 2014). The author found that Arabic persuasion strategies differed fundamentally from those employed by Americans. Arabic persuasion was characterized by emotional norms and metaphoric language use in both Arabic and English, reflecting social and political hierarchies that shape Arabic interaction (Suchan, 2014). Similarly, Al-Momani (2014) examined letters of complaint written by Jordanian university students and noted that pathos was more prevalent in these letters than other modes of persuasion. Studies comparing cross-cultural persuasive texts or advertisements among native and non-native English speakers generally conclude that non-native English speakers utilize more emotional or affective appeals, while native English speakers focus more on rational appeals (Ismail, 2010; Zhu, 2017; Zhu, 2013). However, methodological concerns have emerged from the results of these studies, as they often compare different cultures within their respective comfort zones and among texts that serve slightly different purposes. A more accurate methodology would be to compare the persuasive appeals of two cultures or genders by employing similar tasks, context, and language, as is done in this paper. The use of such a methodology would lend greater credibility to the persuasive appeals used in postgraduate emails seeking a PhD opportunity.

Several studies have combined genre analysis and politeness to better understand the persuasive appeals utilized in various communication contexts (Flowerdew & Dudley-Evans, 2002; Wang, 2005). Of note, several of these studies have incorporated a credible appeal in their methodology. For example, James, Scholfield,

and Ypsiladis (1992) investigated role-play scholarship applications written in English by eight native Greek-speaking students, all of whom had an advanced level of English proficiency. These letters were evaluated by native English-speaking students studying at the same university in the UK, incorporating Gricean maxims of politeness while examining how students used language within the politeness maxims. The study found that direct strategies were linked to credible appeals and were deemed rational, while indirect strategies were linked to emotional appeals. Complimentary behaviors, such as thanking, were characterized as affective appeals. The language used by the applicants was found to be egocentric, emotionally charged, and informal in places, which violated the Gricean maxims and reduced their credibility. Similarly, Farnia et al. (2019) collected 96 role-play scholarship letters written by Iranian participants, half in Persian and half in English. Both groups utilized rational and affective appeals but differed significantly in how they utilized moves such as openings, greetings, closings, and self-presentations. Direct strategies were mainly used in English, while impersonalised indirect strategies were utilized in Persian. One key finding was that the English language necessitates more direct strategies, such as personal pronouns in self-introductions (e.g. "My name is X"), while Persian relies mostly on impersonal pronouns (e.g. "This is X"). The authors suggested that participants possessed language knowledge but not necessarily cultural awareness. Overall, these studies showcase the significance of incorporating a credible appeal in persuasive communication and highlight the importance of analyzing the moves and politeness dimensions of the text to better understand the persuasive appeals utilized.

The study conducted by Al Abbad et al. (2019), which followed the design of James et al. (1992), explored the persuasive strategies used by 76 first-year Saudi female students in an academic environment. The students engaged in role-play letter writing for a fictitious scholarship application directed to Saudi Arabian providers of

scholarships, intentionally using English strategically to meet Saudi expectations. The authors analyzed the letters using a mixed-method approach within the persuasive appeals framework and found that the applicants employed various persuasive strategies grouped according to the Aristotelian Logos, Ethos, and Pathos framework. While religious references were extensively used, logical arguments were mostly employed by focusing on personal achievements and performance scores, and personal achievements are considered part of norms for formal and informal occasions in Saudi culture. However, it is challenging to conclude exactly how Saudi students appeared rational as the lines between appeals were blurred. Personal achievements are categorized primarily as credibility appeals, but they are included in the core criteria for acceptance, meaning that they can also be viewed as rational appeals. Nonetheless, while the study postulated that their findings were in partial contrast to earlier studies exploring Arabic persuasion, their conclusion is potentially biased by the study design, treating credible appeals as core rational appeals, and the entirely female-based data, which may not be representative of the entire country. Thus, including a credible appeal remains essential in persuasive communication, and studies should be designed with more generalized criteria and both male and female participants.

Although studies in genre analysis, politeness, and persuasion have provided great insights, the literature combining all three dimensions remains limited. Two major areas to consider are the relationship between modern (im)politeness and persuasive tactics and the distribution of moves under each persuasive appeal used by specific cultural groups in an intercultural setting. When students seek academic approval from potential supervisors, persuasive appeals filter the moves used in a way that clarifies their function and reveals the relationship between certain moves and the overall persuasive unit. This helps to provide bottom-up and top-down investigation and explore meaningful patterns across gender and culture, increasing our

understanding of how politeness and impoliteness impact the creation of identity and the management of rapport within certain cultures (Graham, 2007). Additionally, impoliteness and face do not solely refer to polite discursive behaviour but also refers to the process of defining relationships in interaction (Locher, 2008), revealing how each gender adjusts their language to different speech act events to meet their prospective supervisor's expectations. This process can provide insight into underlying dimensions about historical traditions that have contributed to certain linguistic behaviour. Thus, investigating how impoliteness and face are negotiated in online interaction remains an under-researched area (Locher, 2010a). Overall, further studies are necessary to better understand the complex interplay between genre, politeness, and persuasion in diverse cultural contexts.

This paper focuses on the measure of persuasive appeals known as credibility appeal, as proposed by Connor and Lauer (1988). Credibility appeal, or ethos, pertains to the personal appeal established by the writer or speaker's expertise or reputation. It is a vital aspect of persuasive communication, wherein the speaker's credibility is often central to their success in convincing their target audience to accept their position. A persuader's credibility can be enhanced by highlighting their expertise, experience, or knowledge on the topic at hand. Consequently, a perceived lack of credibility can often be a persuasive disadvantage. In conclusion, understanding how to establish and enhance credibility can greatly enhance the effectiveness of persuasive communication.

## 2. Methodology

### 2.1 Theoretical Framework:

The aim of this study is to examine the linguistic concepts of genre analysis, politeness, and persuasion in the context of academic email negotiations between students seeking PhD opportunities and their potential supervisors. Through a genre-

based approach, the study suggests that a more detailed understanding of the communicative functions of email negotiations can be achieved. Specifically, the study utilizes Swales' (1990) genre analysis framework and applies it to academic email communication by identifying the communicative purposes of each move in the email. By investigating each move in detail, the study can better comprehend the overall persuasive strategy employed by students in their email negotiations.

According to Swales (1990), genres consist of communicative events with shared communicative purposes, exhibiting similarities in structure, content, style, and intended audience. In this study, the major rhetorical moves of the negotiation genre were identified using a move strategy understanding of the genre. Bhatia (2014) argues that the coding system used should identify major rhetorical moves, as these vary in size and may occur multiple times within a single text. Thus, to articulate new rhetorical functions specific to email negotiation messages, additional communicative moves were added to the coding system. While it is acknowledged that move structure identification may be somewhat subjective, an inter-coder reliability test was conducted in this study to validate the analysis of strategic moves. Some moves were identified and classified separately due to their frequency in most students' emails or their importance, as outlined in guidelines from universities or research articles. Moreover, the study explores the presence of affective appeals within the persuasion framework and reveals that certain moves in academic emails convey higher levels of affective appeals. Ultimately, this study seeks to shed light on the persuasive techniques employed by students in academic email negotiations, providing a deeper understanding of this specific genre of communication and contributing to its overall comprehension.

**2.2 Recruitment:**

100 emails were collected from 100 Saudi participants (50 males and 50 females). In order to examine cultural differences 20 emails were collected from 20 Anglo-Australian students (five males and 15 females). It appeared that most Anglo-Australian students did not rely on emails to find prospective supervisors, instead using other direct communication means such as face-to-face or telephone communication. Since participation in the background information questionnaire was voluntary, the 40% of the Saudi students and the 85% of the Australain students participated in the questionnaire aged between 33 to 42 years old. All of the Australian students self-identified as Anglo-Saxon Australians from Australian or New Zealand backgrounds.

**2.3 Email Analysis**:

The negotiation moves involving crediblity appeals (see Table.1) of each cultural group were identified and analysed. Some dominant linguistic features are discussed below. The moves in this study were informed by genre analysis literature and the guidelines of some universities, as previously stated. Twenty-seven moves were identified in total, but not necessarily all were used in every email. The dominant moves include opening, self-introduction, research interest, proposal, research justification, CV information, change/choose topic, request for acceptance, promote further contact and closing. The frequency of each move in both groups was calculated and analysed quantitatively. For the qualitative analysis, politeness strategies were examined under each of these moves, adopting Brown and Levinson's (1987) politeness model and the new wave of discursive politeness. The moves were, in most cases, independent clauses—clauses that stand by themselves as simple sentences—in line with Swales ' (1990) description of moves. Below is an example of how emails were classified under specific moves with independent clauses:

My name is First and I'm an international student **<Self-introduction]** sponsored by the Ministry of Higher Education in Saudi Arabia **<Fund].** I just finished my Master's degree in Information Systems at the University of XXXX **<Major].** I am planning to start my PhD Program in the fall of 2016 **<Timeframe]**

However, there were several instances where students collapsed two or three moves into one clause. Below is an example of how some students naturally collapse more than one move into one clause:

I am writing in relation to potential supervision of my PhD project **<Proposal]**, to commence in 2012 **<Timeframe]**, in the Faculty of Education **<Major].**

Therefore, a workable definition is required to justify these instances of combined moves. A move in this study is defined as a discoursal text performing a certain communicative function within a complete phrase or as part of the phrase in the email message. The data analysis was limited to the 27 moves each were defined accurately according to the topics the participants discussed in their emails. These are; opening, self-introduction, research interest, Phd topic, major, greetings, proposal, GPA, Timeframe, CV info, attachments, Research plan, Research experience, Change/choose topic, context, Self-promotion, Research justification, Program/Uni interest, Fund, Focus-on-supervisor, Request for acceptance, Gratitude, Options, Promoting further contact, Closing, Sign-off, Business-card signature.

## 2.4 Identification of credibility appeals

Table (1): Workable definition of credibility appeals

| Category | Definition | Example |
|---|---|---|
| Credibility appeal<br>Generic moves of this appeal:<br>Obligatory<br>CV info/GPA/fund/self- promotion/attachment<br>Optional<br>Self-introduction | Presenting character and/or qualifications, scholarship awards in a manner that positively impacts on the prospective supervisor to facilitate persuasion. It generally has a competitive nature in this thesis. | Fortunately, I have been granted a scholarship from the Saudi Ministry ... to cover all of my tuition.<br><br>I am a Saudi national lecturer at the University of X. |

The literature dealing with persuasive appeals was discussed in the previous section, along with definitions. However, for the purpose of this study, some workable definitions had to be developed to help classify each email in terms of its persuasive appeals. All email data was coded according to the body of the email without including opening moves such as 'Dear Dr. First name' or closing moves, which include *Best wishes*.

There was a sharp focus on how the body of emails, being the main discussion body, were evaluated in terms of persuasion; this revealed the kind of generic options or moves appearing under each persuasive appeal. These were then compared between Saudi gender groups and, to a limited extent, cultural groups (Saudis and Australians). Table (2) elaborates how the current researcher identified each persuasive appeal along with the moves which have been classified as belonging to it. This was also supported by an example from the data.

Table (2): Definitions of **crediblity** appeals and their moves

| **Credibility appeals' moves** | | | | |
|---|---|---|---|---|
| **Obligatory moves** | **CV info** Emphasising qualifications: career, awards, courses, job experiences. | **GPA** Mentioning their Masters scores, stressing their advanced level. | **Fund** Mentioning scholarships as part of their awards to continue their higher education. | **Attachment** Referring to attachments (CV, other credits, etc.) |
| **Optional moves** | **Self-promotion** Regarding the self as high-achieving and talking about future improvements, either in relation to abilities or how the career promotion will benefit them. | **Self-introduction** Saudi students introduce themselves using their job title (e.g. I am a lecturer). . | | |

Table (2) presents the primary moves used by Saudi students in their personal statements. Obligatory moves such as CV information, emphasizing qualifications like career, awards, courses, and job experiences are often highlighted. Participants also stress their advanced levels by mentioning their GPA and Masters scores. They frequently mention scholarships as part of their awards to fund their higher education. Referring to attachments, including CVs and other credits, is also a common move. In addition to the obligatory moves, optional moves are also employed. Self-promotion is one of them, where students regard themselves as high-achieving and talk about future improvements in terms of abilities or how career

promotion will benefit them. Saudi students often introduce themselves using their job titles, such as "I am a lecturer".

### 2.4 Reliability checks:

Although coding the current emails for their genre moves and persuasive appeals was at an adequate reliability level (since the researcher recoded them three times during the period of data collection), some communication scholars argue that a representative sample of 10% from the full data should be re-analyzed independently to further assess the reliability (Allen, 2017). Hence, 10% of the email data was coded by two independent raters. Both received training in data coding in both micro-level moves and macro-level persuasive appeals. The agreement percentage was 95% for the moves and 91% for the persuasive appeals. Both raters worked in individual settings and were not with each other on the day. When the researcher discussed the disagreement afterwards, there were prompt agreements that the researcher's coding was at times more accurate than the initial judgement of each coder.

## 3. Results

### 3.1 The three persuasive appeals:

Table (3): Saudi gender and credible appeals

| Saudi Gender | Credibility |
|---|---|
| Saudi Male | 129 |
| Saudi Female | 166 |
| Total | 295 |

There is no specific percentage recommended for each appeal in an academic email proposal. As shown in Table (3) there are two main differences between Saudi males and females concerning the use of credible and affective appeals. In total, women made slightly more appeals. The central difference is in the affective appeal; while women used 88 affective moves, men used 131. Quantitative analysis cannot tell the

full story without the help of qualitative analysis, which will be detailed further in each section devoted to these appeals.

### 3.2 Credibility Appeals:

Credibility appeals are rhetorically manifested in written texts via the writer's experiences, abilities, and knowledge, presenting their personality in a manner that positively impacts their audience. Credibility appeals should be based on the unexaggerated representation of the writer's qualifications of self-presentation and judgment (Connor & Lauer, 1985).

**Table 4: Total number of persuasive appeals by culture**

| | Credibility | Av. |
|---|---|---|
| **Saudi data** | 295 | 2.95 |
| **Australian data** | 48 | 2.4 |
| **Total** | **343** | - |

In the current data, Australian students strategically utilised their CV information to show their research experience and how their current jobs have contributed to addressing the research problem or inspired them to take on the project. This is seen in Table 4, with only an average of 2.4 Australian moves constituting credibility appeals. As the qualifications are tailored to match the job description (Bhatia, 2014) — or, in this case, the PhD project — this strategy was labelled as self-appraisal. When used simply to impress the other party without linking to subject matter, this move was labelled as self-glorification: "an unsupported claim of the writer's own superiority based simply on feeling or desire rather than on rational judgment" (Bhatia, 2014, p. 70). What Bhatia (2014) suggested about the distinction of self-glorification and self-appraisal can be seen in the following example.

### Saudi male data

*1. I am a lecturer in the university and recently won a golden key prize. = self-glorification*

### 3.3 Australian male data:

Bhatia's (2014) classification helps to distinguish the type of credibility appeal each cultural group is drawn towards using. When making credibility appeals, the Saudi students appeared competitive by showing willingness to amend or change their topics to gain the supervisor's approval; it is not clear whether this particular email purpose necessitates such strategy. However, there were instances where the Saudi students, as non-native English speakers, did not comprehend the pragmatic weight their statements could carry in their supervisors' mind; they tended to rely mostly on their credits such as CV, scholarships/funds or attachments. The main difference between the Saudi and Australian students is that the former listed qualifications without linking them to their PhD topic. Making direct and extensive reference to one's qualifications for self-presentation is also witnessed in another study on Saudi academic application letters (Abbad et al., 2019). Mainly, males stressed their competence, focusing on their qualifications, whereas female participants showed more self-confidence in their approach. (see self-promotion in Table 5).

Table (5): Chi2 results of credibility appeals in Saudi data

| No | Moves | Saudi Male (50) | Saudi Female (50) | Sig Chi2 | Interpretation |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | Attach | 30 | 44 | 0.00 | Sig difference |
| 2 | CV | 29 | 41 | 0.28 | No sig difference |
| 3 | Fund | 30 | 38 | 0.08 | No sig difference |
| 4 | GPA | 17 | 18 | 0.83 | No sig difference |
| 5 | Self-promotion | 7 | 14 | 0.08 | No sig difference |
| 26 | Change topic | 7 | 5 | 0.53 | No sig difference |
| 7 | Justification | 5 | 1 | 0.09 | No sig difference |
| 8 | Self-introduction | 4 | 3 | 0.69 | No sig difference |
| 9 | Experience | 0 | 2 | 0.15 | No sig difference |
| **Total** | | **129** | **166** | - | - |

Although there were no statistical differences in self-promotion moves, this appeal was embedded in other moves in female data, such as the requestive move in the following example:

**Saudi female data (Self-promotion embedded in request)**

*1. I believe that I am able to produce good research material under your supervision.*

On average, women tended to use more moves under credibility appeals than men. Although the only statistical difference in this category was related to the number of attachments each gender referred to in their emails, the qualitative description will highlight discursive features that differentiate the way each gender group marketed their abilities. The next section discusses the change-topic move and how it has been employed in credibility appeal.

### 3.4 Change topic:

For this move to be classified as a credibility appeal, participants must attempt to appear competitive by convincing their supervisor that they were willing to change their topic to match the supervisor's interests. PhD supervisors expect students to be passionate about their topics to keep them motivated until the end of their research journey; therefore, showing a willingness to alter the topic might not be a good start. Below are some examples found in both gender groups' data:

**Saudi male data (Change topic)**

*1. Be aware that the research proposal topic is flexible and can be changed or manipulated.*

*2. I'm sure we will work together in an interesting subject for both of us either as I proposed or as you might see by improving the idea proposed based on your experience.*

**Saudi female data (Change topic)**

*1. If I do have the chance to Find a supervisor, I will happily change my topic upon his/her recommendation, to start my proposal*

*2. if you are willing to accept me.. I am also flexible to discuss different topic you think it is more appealing.*

Seven Saudi males and five Saudi females (see change-topic in Table 3) showed responsibility by having a PhD project in mind, but still offered to amend or change their topics. With the first example in the male data, the applicant was drawing the supervisor's attention by saying 'be aware' and then stressed that his topic can be 'manipulated', which may indicate a degree of under-the-table agreement. This reflects another facet of competitiveness in male data. The second example highlights a high imposition tactic by saying 'I'm sure we will work together', throwing the ball into the supervisor's court by asking them to improve the participant's proposal as 'you might see', reflecting the hearer-oriented Kalafah language that stresses the power of the supervisor. The female data, on the other hand, pinpoints a degree of bartering behaviour conditioned by 'if' ('if I do have the chance to find a supervisor, I will happily change my topic'). In the second example, the female participant started by using hearer-oriented language ('if you are willing to accept me') and then took responsibility 'to discuss different topic you think it is more appealing'. The change topic move can be used in a rational manner where participants strike a fine balance by mediating their interests with the supervisors', such as in this Australian female example: 'I have written a brief proposal and while I am not wedded to this topic, it may give you an idea of the general area of research I am interested in'. Thus, she indicated that she was not committed to that topic while highlighting her interest in that area.

### 3.5 CV information:

Providing CV information is one of the main moves under credibility appeals as it emphasises the participants' qualifications. This can include a number of strategies, such as mentioning the exact period of their experiences, recommendations, publications, and conferences. Twelve moves (out of 41) used by the Saudi women

and four moves (out of 29) used by the Saudi males fit into this range. However, the CV move in the Saudi data typically focused on just the job title: a trend across all the participants' data regardless of gender.

**Saudi male data (CV info)**

*1. Currently, I am holding the position as a vice-dean for eLearning and Distance Education deanship*

*2. I am a lecturer in the laboratory department in **** **** **** college at X university.*

*3. After graduation, I got a job as a lecturer at the"..." University. Also I got award from one of te largest X companies in the middle east for best iPhone app and the prize was $50000 for more details visit" ". And Founder my university iPhone App. [link to app included]. And I'm: 1- Sun Certified Programmer for the Java Platform, SE 6. 2- Oracle Forms Developer Certified Professional.*

The last example above was one of four rare cases that talked about the job experience relevant to the research topic, listing the participant's experience in the email and making it appear highly competitive in a way that correlates with a job applicant.

**Saudi female data (CV info)**

*1. I have a wide range of experience in the financial industry as described in detail in my attached CV.*

*2. I have a financial warranty and many recommendations from my teachers and Profs, in addition to an experience certificate for 5 years in the marketing sector*

*3. The attached CV shows my work experience in academic research groups and conferences.*

While four Saudi women referred to recommendation letters and conferences to support their position (see examples Two and Three above), only one Saudi male mentioned this. Three Saudi women also mentioned that they published papers, compared to two Saudi men who mentioned research papers as part of their CV info.

It can be argued that most Saudi applicants in this study over-emphasised their CV moves, mentioning every possible experience they could as proof of competence (Bhatia, 2014). Arab candidates often stress their qualifications to reflect their potential value and usefulness to the prospective institution — or, in this case, to the potential supervisor (Al-Ali, 2004).

### 3.6 Justification:

Few Saudi men used their research justification as part of their credibility appeal. While more Saudi women used research justification as part of their rational appeal (see Tables 5), explaining why their research was worthwhile in terms of addressing a literature gap or real-life problem, three Saudi men provided rationales in terms of personal career promotion.

**Saudi male data (Justification)**

*1. therefore, I need to improve myself by pursuing a PhD degree in Business and Marketing to enhance both my students' knowledge and the bank's performance.*

*2. [I was] in charge of training employees from my university or other jobs. As a result, I am interested in some topics.*

These moves have been called research justification as they tend to provide reasons why participants chose to do a PhD or research in certain areas. Instead of providing rational reasons related to filling certain research gaps, they talked about how such a degree could add to their CV in terms of enhancing future gains.

**Saudi female data (Justification)**

*1. Given these academic interests, I am interested in pursuing a doctoral degree at the University of XXXX to further my research agenda and interest in teaching at the university level.*

The previous example stressed doing a PhD to ‘further [their] research agenda to teach at the university level’. All justifications were dedicated to CV information,

rather than contributing to knowledge. Overall, this move was rarely used by Saudi participants (see Table 5).

### 3.7 Experience:

Rather than showing their research experience in terms of publications and other relevant matters, a few students thought that having a good academic position was a sign of research competence. This can be true in other contexts, but most of these students were young academics with few previous research publications or little experience, as evidenced by their emails. Those who have written one or two papers were sure to include this in their emails as part of their accomplishments. Bhatia (2014) argues that, in such instances, the applicant hopes such information will be well-received by the reader as relevant. It is indeed nothing but an account of one's fictional self, made relevant to the position's purposes (Bhatia, 2014). This aspect has been pointed out by Grice'smaxim of relevance, where a person skilfully disguises the irrelevant self and makes it look legitimately relevant.

**Saudi female data (Experience)**

*1. I have also good knowledge and experience about ***[The topic] *** in regard to religious, language and cultural diversity*

However, in the previous example, the female participant did not provide evidence that she had 'good knowledge and experience' about the topic that she intended to explore. This contrasts with Grice's maxim of quality: "do not say that for which you lack adequate evidence" (Grice, 1975, p. 46). Although the amount of credibility appeals seems statistically similar between cultures, they are qualitatively different. In the Australian data, these experiences were more relevant and justified with more details. In general, the Saudi data was characterised by more ambiguity and a lack of supportive details.

### 3.8 Self-introduction:

Only a few Saudi participants introduced themselves in terms of their qualifications or job titles. Tannen (2009) believes that conventions for self-expression can be understood as socially agreed upon rituals. While it might not be relevant in an Australian context for someone to provide their job title as the sole self-introduction, it is a socially agreed upon ritual in Saudi Arabia to introduce oneself by a job title, rather than a name.

**Saudi male data (Self-introduction)**

*1. I am an MA holder in Applied Linguistics.*

*2. I am a lecturer at X university.*

**Saudi female data (Self-introduction)**

*1. I am an education and training officer in X.*

*2. I am a Saudi woman from Saudi Arabia, a researcher in the field of psychology and a master's degree from a prestigious university in the Kingdom of Saudi Arabia X University.*

That being said, there were only a few instances (see above) where Saudi students used their job title as the sole self-introduction strategy. For self-representation to be persuasive, it must arouse an appropriate response in the reader; it is a situation in which pathos, logos, and ethos in the true Aristotelian framework may not guarantee potential pragmatic success (Bhatia, 2014). With the examples above, it is difficult to determine how these statements would be interpreted by Anglo- Australian supervisors; it could slip past unnoticed or it might arouse negative reaction. This again raises the argument of (im) politeness. Although these statements sound rational on a surface level, they could be misinterpreted as having some implied arrogance by people from other cultural backgrounds.

### 3.9 Self-promotion:

Instead of using self-appraisal as a main strategy, which is all about tailoring self-achievements to meet the specific needs of the communicative event, 21 Saudi prospective students used a self-glorification strategy as part of the self-promotion move. Al-Ali (2004) believes that to "most people from an Arabic culture, self-appraisal may seem like bragging and is likely to be viewed as a kind of boasting which lacks credibility" (p.16-17). In this move, the applicants highlighted personal abilities and characteristics not necessarily relevant to the research topic. They showed how the PhD qualification will position them in the future, how their personal characteristics/value may be appealing to the prospective supervisor or useful to the prospective university, or how they will obtain personal gains from the overall PhD experience in a way that promotes the self.

### Saudi female data (Self-promotion)

*1. I am very confident that I would succeed, and I would contribute significantly...*

*2. I will be working hard to attain this goal of completing a higher degree --.*

*3. This will help in my goal to prove that women in Middle Eastern countries as Saudi Arabia can create a mark in this particular field.*

*4. I am willing to show all the efforts that are needed to demonstrate how suitable I am…*

### Saudi male data (Self-promotion)

*1. I would feel extremely privileged if given a chance to prove my worth and contribute to the file at the university.*

*2. and also I am open mind and friendly person.*

*3. Yet, I am looking for a new level of achievement and future research.*

*4. taking up challenges has always served as a source of excitement for me.*

These were classified as credibility appeals because the students believed that these characteristics added to their own credits and portrayed them as ambitious or competent. Women used a stronger tone in emphasising their confidence and uniqueness, evidenced by the way they expressed this move (see examples One and Four in the Saudi female data). The Saudi women wanted to not only

pinpoint their unique abilities but to also correct a misconception about Middle Eastern women, as seen in example Three. This may be due to the fact that women "in the masculine countries […] are somewhat assertive and competitive, but not as much as the men" (Hofstede, 2011, p. 12). Although Hofstede (2011) argues that women would be less competitive than men in their attempts, this is not always the case; women used this particular move two times more than men (seven men and 14 women). Not only that, but they rarely showed aspects of weakness — what Bhatia (2014) called self-degradation — in this move, seen in the first and second examples of male data: 'if given a chance to prove my worth', or 'I am open mind and friendly person'. While women were self-centred in this move, some men showed how the PhD program would further their future achievements and enable them to overcome future challenges. This is seen in the third and fourth examples above. The above self-promotion statements do not address any general criteria for accepting a PhD student.

**Australian female data (Self-promotion)**

*1. am keen to pursue study at a higher level. So, I have a strong background in research here in X.*

*2. this is highly relevant to my long-term aspirations …, as well as my determination to expand upon my data analytics and visualization skills.*

The self-promotion move was also found in the Australian female data. This move is more so about communicating personal desires and future goals, which has little to do with what a prospective supervisor wishes to know to make their decision. It

may show competence in terms of personal ambition and can, to some degree, build rapport between prospective students and supervisors.

### 3.10 Fund:

In this move, the students emphasised the fact that they had received a scholarship to influence the potential supervisor's decision. In some majors, such as medical sciences, some projects need funds; without a scholarship package, the supervisor will not be able to accept students. Saudi students in general preferred to use the term 'full scholarship' or 'fully sponsored'. Sixteen out of 38 women used the term 'full/fully' when describing their scholarship, while eight out of 30 Saudi men used this term. The function of adjectives, such as the word full, is very important; adjective choices can convey persuasion or "subtle shades of affect" (Hyland, 1998, p. 441).

**Saudi female data (Fund)**

*1. I have been granted a fully funded scholarship from my government to do my PhD in Australia.*

*2. I will be fully funded by my sponsor.*

*3. I have been granted with a full scholarship from my university experiences including study fees and living allowance. from X University to cover and living expenses of my study.*

*4. Finally, I would like to highlight that I have secured funding.*

Besides using the adjective 'full' to describe their scholarship, six Saudi men and three Saudi women went into further detail, mentioning that the scholarship would cover their living allowances, travel tickets, health insurance, or family expenses:

**Saudi male data (Fund)**

*1. This scholarship includes a monthly salary and health insurance other than guaranteed payment for the university courses.*

*2. I would like also to indicate that my study in university of XXX towards PhD degree will fully sponsored (e.g. tuition fees, living allowances, travel tickets) by XX.*

*3. I have[sic] granted scholarship covers my PhD studies and living expenses for me and my family.*

*4. I have a full scholarship that covers university tuition fees, study related expenses and Health Insurance.*

Elaborating on how the funds would cover the above-mentioned aspects is irrelevant in this email context. It also goes against Grice's maxim of manner to be concise, providing unnecessary details to the prospective supervisor whose only interest is in study-related expenses for the time being. In the last example of the female data, the participant described her scholarship as 'secured funding', which may reflect how students feel about such funding rather than communicating this aspect rationally.

### 3.11 GPA and attachment:

Mentioning a student's GPA score was one of the competitive credibility appeals in the Saudi data. However, in the male data, there is a slight degree of ambiguity relating to the exact GPA score; for example, one male participant claimed that he graduated with a very good grade, without mentioning the exact score. This could, however, be attributed to the Saudi educational system, where the term very good means B+ and excellent means A. Although the female data had instances of ambiguity in terms of grades, they gave more information on their GPA with both the exact grade and its label according to the institution. This can be seen in the examples below.

**Saudi female data (GPA)**

*1. as I landed several internships and graduated with a first-class GPA of 3.86 out of 4.*

*2. I have completed a Bachelor of Marketing with a (4.5 / 5) GPA.*

*3. I graduated with 4.32 GAP (pass with distinction) in 2012.*

*4. I graduated in March 2014 with (A) grade in all my subjects (except one subject B+).*

In respect of the attachment move, attachments have been referred to 74 times in Saudi data (see Table 5). In general, Saudi women used 44 attachment moves in comparison to the 30 moves made by men. The attachment move has been classified as a credibility appeal because it involves documents substantiating the students' claims. In their attachments, the Saudis usually included their CV, recommendations and research proposals, as indicated in the examples below.

**Saudi male data (Attachment)**

*1. However, I have attached to you my proposal and curriculum vitae.*

*2. Also, I have attached for you my PhD proposal and my CV.*

*3. Please find my resume, cover letter and a research proposal attached.*

*4. Kindly, find attached herewith a copy of my initial proposal and CV*

**Saudi female data (Attachment)**

*1. My CV and certificates for my previous degrees are attached.*

*2. I have enclosed my personal statement which includes a background about my study, relevant work experience and intended research topics.*

*3. Enclosed is my research proposal and academic CV.*

*4. Kindly find the attached PDF files of my research proposal, personal statement, and resume.*

The reason why there were many references to attachments in the Saudi data could be attributed to a reliance on attachments to tell the story, especially with respect to the students' proposed topic. In the Australian data, participants dedicated more time to talking about their proposed topic in the body of their emails. Al-Ali (2004) argues that the lack of details in Arabic applicants' letters is due to a belief that attachments speak for themselves. By relying on attachments, Al-Ali (2004) believes that students lose a potential opportunity to elaborate on their core abilities to convince the prospective reader. This is also consistent with earlier discussion on rational appeals,

where the Saudi students relied on the attached PhD proposal rather than discussing it in detail within their emails.

## 4. Study Conclusion

The study on credibility appeals in PhD applicants' emails provides insights into how prospective students present their qualifications, knowledge, and abilities to persuade potential supervisors. The study investigated the use of credibility appeals in emails sent by Saudi and Australian PhD applicants to explore the similarities and differences in the way each group of students approached the task of convincing potential supervisors to accept their applications. The study shows that credibility appeals play a crucial role in shaping the self-presentation strategies of PhD applicants. Credibility appeals are rhetorically manifest in written texts through the writer's experiences, abilities, and knowledge, presenting their personality in a manner that positively impacts their audience. However, credibility appeals should be based on the unexaggerated representation of the writer's qualifications of self-presentation and judgment.

The research finds that Australian students strategically used their CV information in their emails to demonstrate their research experience, and how their current jobs contributed to addressing the research problem or inspired them to take on the project. Australian students tailored their qualifications to match the job description, making this strategy referred to as self-appraisal. In contrast, Saudi students listed their qualifications without linking them to their PhD topic, making direct and extensive reference to their qualifications for self-presentation. This strategy was labeled as self-glorification, an unsupported claim of the writer's superiority based solely on feeling or desire rather than on rational judgment.

The study also reveals that both cultural groups used credibility appeals at a similar range, but the qualitative features of their discourses differed significantly. Although the amount of credibility appeal used seems statistically similar between cultures, they are qualitatively different. Saudi students tended to be more ambiguous and less supportive in their emails, relying on their attachments to make their case. Australian students, on the other hand, dedicated more time to talking about their proposed topics in the body of their emails, convincing the readers by elaborating on their abilities.

The study suggests that cultural differences play a role in how credibility appeals are used and interpreted, highlighting how Saudi and Australian students use different approaches to present their qualifications and how they communicate their ambitions and self-perceived worth. It also provides insights into how a more culture-bridging approach to writing academic emails can be developed. By analyzing the similarities and differences in the way Saudi and Australian PhD applicants use credibility appeals, the study shows how cultural diversity can enrich academic writing and help bridge the gap between different cultural approaches to writing academic emails. Therefore, the findings of this study can inform policymakers, educators, and researchers in their efforts to promote intercultural communication and bridge the gap between different cultural backgrounds.

## References


- Abbad, A., Mansur, N., & Ypsilandis, G. (2019). Persuasive strategies in Saudi academic female application letter writing. Rhetoric and Communications Journal, 40(40), 12. Retrieved from http://rhetoric.bg/wp-content/uploads/2019/07/Abbad-Masur-Ypsilandis-issue-40- July-2019-final.pdf.
- Aijmer, K. (2014). Conversational routines in English: Convention and creativity. London:Routledge.

- Al-Ali, M. N. (2006). Genre-pragmatic strategies in English letter-of-application writing of Jordanian Arabic–English bilinguals. International Journal of Bilingual Education and Bilingualism, 9(1), 119-139. https://doi.org/10.1080/13670050608668633.
- Al-Momani, K. R. (2014). Strategies of persuasion in letters of complaint in academic context: the case of Jordanian university students' complaints. Discourse Studies, 16(6), 705-728. https://doi.org/10.1177/1461445614546257.
- Alhudhaif, A. M. (2005). A speech act approach to persuasion in American and Arabic editorials. [PhD dissertation]. Purdue University.
- Alsharif, A. A., & Alyousef, H. S. (2017). Negotiation and impoliteness strategies in Saudi and Australian postgraduate students' emails. Arab World English Journal, 8. https://doi.org/10.24093/awej/vol8no4.
- Bardovi-Harlig, K., & Hartford, B. S. (1990). Congruence in native and nonnative conversations: Status balance in the academic advising session. Language learning, 40(4), 467-501. https://doi.org/10.1111/j.1467-1770.1990.tb00603.x.
- Bhatia, V. K. (2014). Analysing genre: language use in professional settings. London: Routledge. https://doi.org/10.4324/9781315844992.
- Biesenbach-Lucas, S., & Weasenforth, D. (2002). Virtual office hours: negotiation strategies in electronic conferencing. Computer Assisted Language Learning, 15(2), 147-165. http://doi.org/10.1076/call.15.2.147.8193.
- Bousfield, D. (2008). Impoliteness in interaction. Amsterdam: John Benjamins. https://doi.org/10.1075/pbns.167.
- Bousfield, D. (2010). Researching impoliteness and rudeness: Issues and definitions. In Interpersonal pragmatics. (M. A. Locher, & S. L. Graham ed., Vol. 6). Berlin: de Gruyter.
- Connor, U., & Gladkov, K. (2004). Rhetorical appeals in fundraising direct mail letters. In (Rhetorical appeals in fundraising direct mail letters ed., pp. 257-286). https://doi.org/10.1075/scl.16.11con.
- Connor, U., Davis, K. W., & De Rycker, T. (1995). Correctness and clarity in applying for overseas jobs: a cross-cultural analysis of US and Flemish applications. Text & Talk, 15(4), 457-476. https://doi.org/10.1515/text.1.1995.15.4.457.
- Connor, U., & Lauer, J. (1988). Cross-cultural variation in persuasive student writing. Writing across languages and cultures: Issues in contrastive rhetoric, 2, 138-159.

- Culpeper, J. (2008). Impoliteness in language. In (D. Bousfield and M. A. Locher ed., pp. 17-44). Berlin: de Gruyter. https://doi.org/10.1515/9783110208344.1.17.
- Culpeper, J. (2011b). Impoliteness: Using language to cause offence. Cambridge: Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/cbo9780511975752.
- Culpeper, J., & Haugh, M. (2020). The metalinguistics of offence in (British) English: A corpus- based metapragmatic approach. Journal of Language Aggression and Conflict. https://doi.org/10.1075/jlac.00035.cul.
- Ebner, N. (2011). Negotiation via email. In The negotiator's desk reference. (C. Honeyman, & A.K. Schneider ed., pp. 397-415). St Paul:DRI Press.
- Economidou-Kogetsidis, M. (2011). “Please answer me as soon as possible”: pragmatic failure in non-native speakers’e-mail requests to faculty. Journal of Pragmatics, 43(13), 3193- 3215. https://doi.org/10.1016/j.pragma.2011.06.006.
- English, K., Sweetser, K. D., & Ancu, M. (2011). YouTube-ification of political talk: An examination of persuasion appeals in viral video. American Behavioral Scientist, 55(6), 733-748.
- Farnia, M., Ypsilandis, G., & Ghasempour, B. (2019). Intracultural Iranian persuasion. Journal of Intercultural Communication, 51.
- Flowerdew, J., & Dudley-Evans, T. (2002). Genre analysis of editorial letters to international journal contributors. Applied linguistics, 23(4), 463-489. https://doi.org/10.1093/applin/23.4.463.
- Furka, I. (2008). The curriculum vitae and the motivational letter: a rhetorical and cultural analysis. WoPaLP Journal, 2.
- Hallajian, A., & David, M. K. (2014). "Hello and good day to you dear Dr…”: greetings and closings in supervisors-supervisees email exchanges.. Procedia-Social and Behavioral Sciences, 118, 85-93. https://doi.org/10.1016/j.sbspro.2014.02.012.
- Ho, V. (2014). Managing rapport through evaluation in grounder–a qualitative study. Journal of pragmatics, 61, 63-77.
- Hofstede, G., Hofstede, J., & Minkov, M. (2010). Cultures and Organizations: Software of the mind. (3rd ed.). Mc-Graw-Hill.
- Ismail, S. (2010). Arabic and English persuasive writing of Arabs from a contrastive rhetoric perspective. [PhD thesis]. Penn State University.

- James, C., Scholfield, P., & Ypsiladis, G. (1992). Communication failures in persuasive writing: towards a typology, 3, 174-193.
- Jenkins, M., & Dragojevic, M. (2013). Explaining the process of resistance to persuasion: a politeness theory-based approach. Communication Research, 40(4), 559-590. http://doi.org/10.1177/0093650211420136.
- Khan, A., & Tin, T. B. (2012). Generic patterns in application letters: the context of Pakistan. RELC Journal, 43(3), 393-410. https://doi.org/10.1177/0033688212463277.
- Kubota, R. J. W. C. (1997). A reevaluation of the uniqueness of Japanese written discourse: implications for contrastive rhetoric., 14(4), 460-480. https://doi.org/10.1177/0741088397014004002.
- Locher, M. A. (2008). Relational work, politeness and identity construction. In Handbook of interpersonal communication (Antos, & E. Ventola ed., pp. 509-540). Berlin:de Gruyter. https://doi.org/10.1515/9783110211399.4.509.
- Locher, M. A. (2010a). Introduction: Politeness and impoliteness in computer-mediated communication. Journal of Politeness Research, 6(1), 1-5.
- Maasum, T. N. R. T. M., Darus, S., Stapa, S. H., & Mustaffa, R. (2007). Organisational structure of job application letters by Malaysian graduates. International Conference: Language and Nationhood: Discourses across Cultures and Disciplines., Paper presented at the Proceedings of SoLLs. INTEC. 07.
- Miciano, M. Z. (2014). "Greetings! I am ...": a genre analysis of job application letters written by Filipinos. Philippine ESL Journal, 12, 34-70.
- Murphy, M. (2006). Towards a practical approach for assessing politeness in intercultural email communication. [PhD thesis]. Griffith University, Brisbane.
- Nydell, M. K. (2018). Understanding Arabs: a contemporary guide to Arab society. London:Nicholas Brealey.
- Psaltou-Joycey, A., & Ypsilandis, G. S. J. Σ. Π. τ. ο. ι. Σ. Ε. Γ., Λευκωσία. (2001). Contrastive discourse in Greek application letter writing. 17-19.
- Rabab'ah, G. A., & Khawaldeh, M. (2016). Persuasive appeals in English and Arabic TV advertisements: implications for EFL learners and teachers. Dirasat: Human and Social Sciences, 48(4116), 1-13.

- Ren, W. (2017). Pragmatics in Chinese graduate students' English gratitude emails. In Researching Chinese English: the state of the art. (Z. Xu, D. He, & D. Deterding. ed., pp. 109-124). Cham: Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-319-53110-6_8.
- Schnurr, S., Marra, M., & Holmes, J. (2008). Impoliteness as a means of contesting power relations in the workplace. In Impoliteness in language: studies on its interplay with power in theory and practice. (D. Bousfield, & M. A. Locher. ed., pp. 211-230). Berlin: Mouton de Gruyter. https://doi.org/10.1515/9783110208344.4.211.
- Spencer-Oatey, H. (2005). (Im)politeness, face and perceptions of rapport: unpackaging their bases and interrelationships. Journal of Politeness Research, 1(1), 95-119. https://doi.org/10.1515/jplr.2005.1.1.95.
- Suchan, J. (2014). Toward an understanding of Arabic persuasion: a Western perspective. International Journal of Business Communication, 51(3), 279-303. https://doi.org/10.1177/2329488414525401.
- Swales, J. (1990). Genre analysis: English in academic and research settings. Cambridge: Cambridge University Press.
- Wang, H. (2005). A pragmatic genre analysis of job application letters. Sino-US English Teaching, 2(12), 76-81.
- Zhu, W. (2017). A cross-cultural pragmatic study of rapport-management strategies in Chinese and English academic upward request emails. Language and Intercultural Communication, 17(2), 210-228. https://doi.org/10.1080/14708477.2016.1253707.
- Zhu, Y. (2013). A cross-cultural analysis of English and Chinese business faxes: a genre perspective. Ibérica, 26, 35-54.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

Vol. (3), No. (1)

IJESA

January 2023

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

الإصدار (3)، العدد (1)

# انتظروا العدد القادم

# المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

**International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)**

**المجلة حاصلة على رقم تسلسلي معياري دولي: ISSN 2976-7237 (Online)**

**موقع المجلة:** https://ijesa.vsrp.co.uk/

**البريد الإلكتروني:** ijesa@vsrp.co.uk

رقم التليفون (واتس): +442039115546

دار النشر **رؤية للبحوث العلمية والنشر**، لندن، المملكة المتحدة

**Vision for Scientific Research and Publishing, London, UK**

71-75 Shelton Street, Covent Garden, London, WC2H 9JQ